

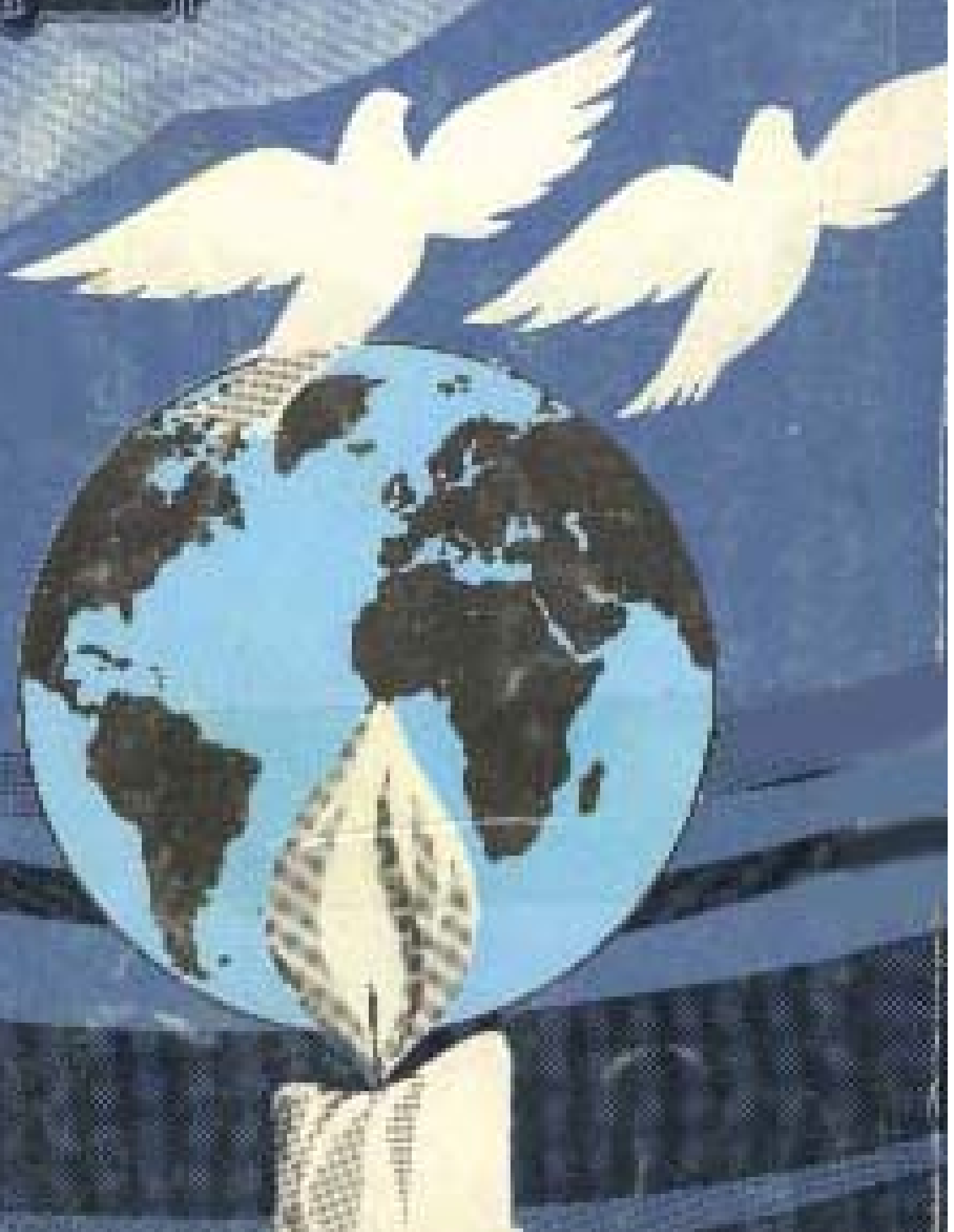


مجلة مدارس الأحد

تقديم

العدد 34

العدد 204



الانطلاق لمعرفة التدرج*

بقلم : قداسة البابا المعظم

الأتبا شنوده الثالث

أعترف أمامك يا رب أن اتجاهي في الكتابة كان ينبغي أن يتغير . وأعترف في خجل أمامك أنني كثيرا ما حدثت الناس عن الفضيلة ، وقليلًا ما حدثتهم عنك ، بينما ينبغي أن تكون أنت الكل في الكل

غير أنني لكي أتحدث عنك ، لا بد أن أعرفك . وكيف أعرفك وأنا انسان محدود ، وأنت اله غير محدود؟! بل كيف أعرفك وأنت غير المدرك ، وغير المفحوص ، أنت النور الذي لا يدنى منه ، ولا يستطيع انسان أن يراه ويعيش؟!

ولقد حاولت أن أسأل قديسيك الذين عرفوك ، أو الذين عرفوا عنك « بعض المعرفة » فاقتربت الى بولس الرسول الذي صعد الى السماء الثالثة ، وسألته عنك فقال ان الذي سمعه وراه أمور « لا ينطق بها ، ولا يسوغ لانسان أن يتكلم عنها » (٢ كو ١٢ : ٤) . وكذلك يوحنا الحبيب الذي رأى بابا مفتوحا في السماء ، وشاهد عرش الله ، لم يشرح لنا رؤياه الا في رموز لا يمكن أن تعطى الصورة الذاتية للحقيقة كما هي

* تفضل قداسة البابا المعظم وشمل أولاده بعطفه ورعايته الروحية فقدم للطبعة الرابعة هذا التأمل العميق الذي أثرنا أن نستهل به هذا الكتاب الثمين بعد التصدير السابق .

وأحيانا أسأل نفسي : أهى كبرياء منى أن أحاول أن أعرفك ،
بينما ما أزال جاهلا بحقيقة نفسى ، وما أزال جاهلا بكثير من الأمور
البشرية والمادية ؟ ان كنت لم أعرف كنه ذاتى ، فكيف أعرف
خالق هذه الذات ؟

وان كنت لم أعرف بعد سماءك وملائكتك ، فكيف أعرف ذاتك
الالهية ؟

كل ما أعرف عنك ، هو ما تكشفه لنا من ذاتك • وأنت
لا تكشف لنا الا ما تستطيع ذاتنا أن تحتمله • لانك ان كشفت
لنا اكثر ، ستقف طبيعتنا البشرية مبهورة فى دهش ، وقد وقف
عقلها عن الفهم ، وعجزت مفرداتها اللغوية عن التعبير ، وتعترف
أن ما تراه هو من الأمور التى لا ينطق بها •

وانا أحاول فى معرفتك أن أخرج عن نطاق الكتب بكل ما فيها
من عمق ، بل أن أخرج أحيانا عن حدود معرفة العقل ، لكى أعطى
للروح فى انطلاقها مجالها الأوسع الذى تفوق فيه العقل بمراحل
••• ولكن روحنا البشرية محدودة ••• محدودة فى قدراتها ،
وفى مواهبها ، وفى معرفتها ••• كما أنها تقاسى كثيرا من ضباب
هذا الجسد المادى •••

أترانا يا رب سنعرفك اذن فى الملكوت الأبدى ؟ وسننظرك
حينذاك وجها لوجه كما قال عبدك بولس ؟ أرانى حقا حائرا أمام
عبارة « وجها لوجه » •

اننا فى الملكوت على الرغم من القيامة المجددة ، وما سنلبس
من أجساد نورانية روحانية ، لأبد أن سنظل - كما نحن - بشرا
محدودين •••

ستكشف لنا شيئا عن ذاتك لم نكن نعرفه فى العالم ، فنسر
بذلك ونفرح ، ثم تكشف لنا أكثر فأكثر ، على قدر ما نحتمل •

وقد تكشف لنا أكثر فتصرخ نفس كل واحد منا وهي مريضة حبا
« كفانا كفانا » .. وتظل أنت توسع في قلوبنا ، وتوسع في أرواحنا
لنستوعب عنك المزيد .. وتظل أنت يا رب كما أنت .. غير
محدود .. ونظل نحن - كما نحن - على الرغم من اتساعنا ،
محدودين ، نعرف عنك بعض المعرفة ..

ويطول بنا الزمن في الأبدية ، ونحن نستمتع بمعرفتك ، نذوق
وننظر ما أطيب الرب ، ونكتشف كل حين شيئا جديدا عنك ،
فنتغذى بهذه المعرفة الحلوة المشبعة ولكننا لا يمكننا أن نلم بلاء
كلك .

اذن متى نعرفك المعرفة الحقيقية ؟

يجيب ربنا يسوع ويقول « هذه هي الحياة الأبدية ، أن يعرفوك
أنت الاله الحقيقي وحدك .. » .. اذن فمعرفتك ليست موضوع
سنين أو أيام ، وانما طريقها هو الأبدية كلها ، الأبدية التي
لا تنتهى ..

ان كان الأمر هكذا في الأبدية ، فماذا نقول اذن عن جهالتنا
على الأرض ؟ أحقا نحن نعرف شيئا ؟

لذلك أتوسل اليك أيها الخالق العظيم ، أن تعذرني ان كنت
أحدث الناس عن الفضيلة أكثر مما أحدثهم عنك . فذلك يرجع
الى سببين :

السبب الأول : هو أنني لا أعرف . كل ما أعرفه هو أنني
أصلى اليك أن تكشف لي شيئا عن ذاتك ، وما تكشفه لي أخبر
الناس به ، لكي يجربوا مذاقة الملكوت على الأرض .

والسبب الثانى : هو أنني عندما أحدثهم عن الفضيلة ،
انما أريدهم أن يعدوا قلوبهم لمعرفتك . أريدهم أن يرفعوا البخور

عشية وياكر على مذبح هذا القلب حتى يستحق أن تقدم عليه
السرائر الالهية •

ونحن بذاتنا لا نعرف ، لكننا نريد - بنعمتك - أن نعد ذواتنا
لمعرفتك ، وهذه المعرفة تأتي منك أنت ، بما تكشفه لنا ، ولا تأتي
بمجهود عقولنا ، ولا حتى بمجهود أرواحنا • ان كل جهاد عقولنا
وأرواحنا - مع ضرورته - انما يدخل فى حقيقته تحت معنى الصلاة
أو التوسل ، لكى يملأ السحاب البيت ، وتشتعل النار فى العليقة ،
ويكشف الرب ذاته ••• وحينئذ يسجد القلب فى خشوع ، ويرتل
فى شكر « أعطيتنى علم معرفتك » •••

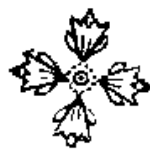
هذه المعرفة الالهية هى اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، التى من أجلها
باع التاجر كل أمواله واشتراها •

ولعله من الأموال التى باعها هذا التاجر ، ما نكنزه فى عقولنا
من معارف بشرية متعددة تشغل كل أوقاتنا حتى لا نتفرغ لمعرفتك
أنت ، وحتى لا نجلس مع مريم عند قدميك تسكب فى قلوبنا ذلك
الماء الحى ، الذى كل من يشربه لا يعود يعطش أيضا •••

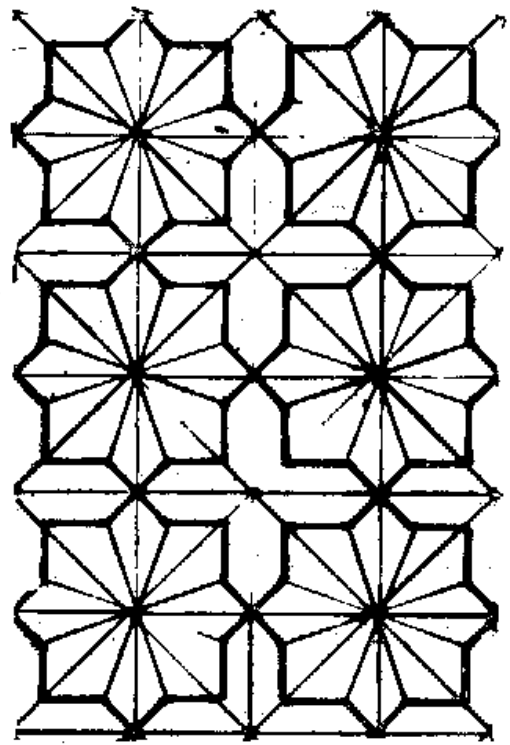
ليتنا نسعى الى هذه المعرفة ، ونطلبها بكل قلوبنا ، ونجدها
فى داخلنا ، فى عمق أعماقنا ، حيث تسكن أنت ، وحيث هيكلك
المقدس الذى تدشن يوم أخذنا المسحة المقدسة منك •

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٧٣

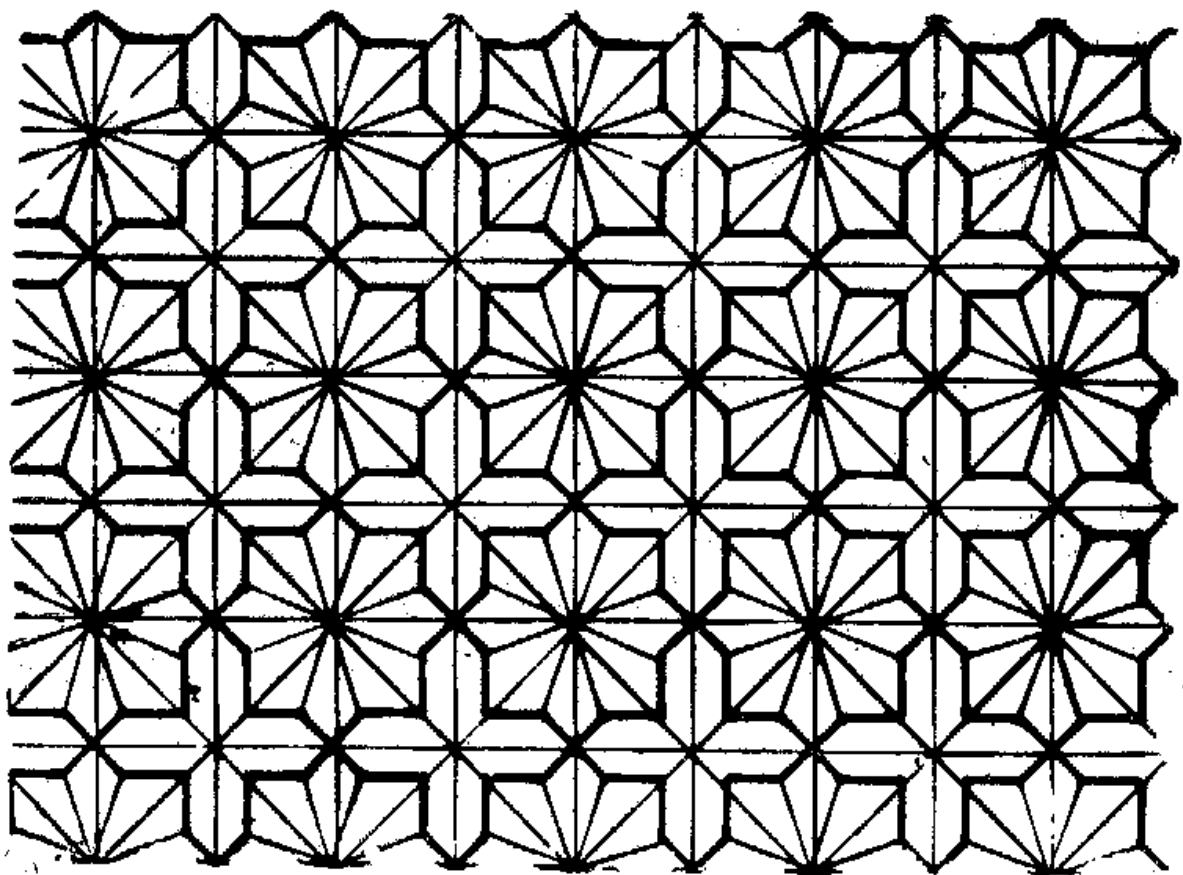
١٦ كيهك سنة ١٦٩٠



كانت الساعة السابعة مساءً ،
والسكون يخيم على أرجاء المكان ،
حين بدأت وأبى الراهب نضرب
بأقدامنا في رمل الصحراء ، نتمشى
حيناً ونقف حيناً آخر ، متأملين في
موضوعات أسمى من أن يكتبها قلم
بشرى ٠٠٠ وقد طال بنا التجوال
ونحن لا ندري ، أو نحن لا نود أن
ندري ، حتى استقر بنا المطاف أخيراً
على عتبة الدير ، فجلسنا مناقش
موضوع :



أضيق لي



أهرب لئلا أشتيتها • فسأله أيضا عن شعوره اذا رأى مالا تلقى
فى الصحراء ، أستطيع أن يفرق بينه وبين الحصى ، فأجاب بأنه
يستطيع ذلك ولكنه يمنع نفسه من محبة المال ، وسأله القديس
ثالثا عن شعوره اذا أهانه أحد ، فأجاب بأنه يحس أنه أهين ولكنه
لا يبيت الغيظ فى قلبه • وهنا التقت القديس الى الراهب وأخبره
أنه ما يزال تحت الآلام ، وأنه فى حاجة الى جهاد أكثر ، وبدأ يعظه ••
انها قيود الحس يا صديقى القارىء التى تجعل المرء يفرق بين
الرجل والمرأة المتقدمة فى السن والفتاة الشابة ، وبين الفتاة
« الجميلة » و « غير الجميلة » •

انها قيود الحس أيضا التى تجعله يفرق بين النقود والحصى ••
وماذا اذن عن الاهانة والمديح ؟ •

ذهب أحد الرهبان الى القديس مقاريوس وطلب منه نصيحة ،
فأمره القديس أن يذهب ويمدح الموتى فذهب ومدحهم فلم يرد عليه
منهم أحد ، فأمره القديس أن يذهب ويشتم عليهم فى القول ، ففعل
ذلك فلم يرد عليه أحد •

فقال القديس للراهب : وهكذا أنت ما دمت قد مت عن العالم
فيجب أن تشبه هؤلاء الموتى ، لا تتأثر فى شيء ، وانما سيان عنده
ان مدحك الناس أو ذموك ••

وفى احدى المرات أحضر أحد الأثرياء هبة مالية الى الدير لتفرق
على الرهبان ، ولكى يقدم رئيس الدير لهذا الثرى عظة عملية ،
وضع المال جانبا وأمر بدق الناقوس فاجتمع الرهبان ، فطلب اليهم
الأب الرئيس أن يصنعوا محبة ويأخذوا ما يحتاجونه من هذا المال ،
ولما نظر الرهبان الى الذهب كما ينظرون الى الحصى ولم يأخذ أحد
منهم شيئا رغم الالحاح الشديد ، تأثر الرجل الثرى جدا ، وطلب
أن يترهب ••

ان العالم يا أخى الحبيب والجسد أيضا قد أرسب على
احساساتنا رواسب عديدة كان من نتائجها أن أشياء عالمية كثيرة

مادية وجسدية أصبحت تبدو لنا فى صورة أجمل من غيرها وأكثر جاذبية وأعمق أثرا فى النفس . وعندما تسمو الروح ، وعندما تنطلق الى حد ما مما يعرقل طريقها من القيود ، عند ذلك سيرقى احساسها جدا ، أو قل ستنتطلق من الحس العالمى ، وتفهم الأمور بإدراك آخر روحى :

هل اذا طال بك السفر بعيدا عن أسرتك ، ثم قابلتهم بعد هذا الفراق الطويل فعانقوك فى محبة وفى شوق زائد ، هل وسط تلك المحبة التى سبحت فيها روحك ، ستحس أن أباك الرجل يختلف عن أمك المرأة ، وأخيك الفتى ، وأختك الفتاة . وهل عامل الانقاذ فى الحرائق أو حوادث الغرق يحس أن الجسم الذى يحمله منقذا اياه من الهلاك ، هو جسم فتى أو فتاة ، أو رجل أو امرأة؟! كلا بل أوكد لك أنه لو أحس شيئا من هذا لعرض نفسه للموت هو ومن يعمل على انقاذه .

ألا ترى إذن أن الروح تسمو على الحس ، وأن هناك أوقات يتعطل فيها الحس كليا أو جزئيا لانهماك الروح فيما هو أعظم ؟ . . وهكذا أنت فى حياتك الروحية عليك أن تتخلص بقدر الامكان من قيود الحس . وعندئذ ستتنظر الى الأمور بمنظار آخر : سوف لا تحاربك الشهوة ، شهوة العين أو شهوة الجسد أو شهوة المال أو شهوة النساء أو تعظم المعيشة . بل تكون كملائكة الله فى السماء ، تنظر الى كل شيء بتلك « النظرة البسيطة » التى قال عنها السيد المسيح فى عظته على الجبل : « ان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا » . . . (متى ٦ : ٢٢)

على أن هذه الأفكار لم تكن موضوع الحديث بين أبى الراهب وبينى ، فقد كنا نتكلم فيما هو أعمق من هذا ، فى موقف الحس عند تفهم الالهيات والتأمل فيها : ان الاحساس الجسدى جسدى ومحدود لذلك فهو لا يستطيع أن يفحص الله الروح غير المحدود . ثم ان الحس البشرى عرضة للخطأ ، وكثيرا ما يخطئ فى التمييز بين الخطأ والصواب .

لقد رجع التلاميذ الى السيد المسيح فرحين وقالوا له : « حتى الشياطين أيضا تخضع لنا باسمك » فرد عليهم السيد : « لا تفرحوا بهذا » (لو ١٠ : ١٧ ، ٢٠) ان أن احساسهم كان خاطئا .

أنظر أيضا الى القاتل الذي ثار لنفسه أو انتقم لشرفه ، ألا يغمره احساس بالرضى كأنه أتى عملا جليلا . انه حس خاطيء . وأنت كذلك يا أخى المحبوب قد تراودك فى صلواتك وأصوامك وخلواتك وتأملاتك احساسات كثيرة : امتحنها جيدا فقد تكون احساسات بشرية غير سليمة . . . وحاول أن تطلق روحك من قيود الحس .

بقى أن أقول لك الاحساس بالعالم وموجوداته يتعطل عند الاستغراق فى الالهيات . كانت حنة تصلى فى الهيكل . وكانت منسكبة النفس أمام الله فلم تشعر بما يدور حولها حتى أن على الكاهن حسبها سكرى فقال لها : « الى متى تسكرين . قومي انزعى خمرك عنك » . (اصم ١ : ١٣ ، ١٤)

وهكذا أنت : ان كنت منصرفا بكليتك الى الصلاة أو التأمل فسوف لا تشعر اطلاقا بما يدور حولك . قد يتكلم البعض الى جوارك وقد تقوم ضجة . وقد تتهادى مناظر كثيرة ، وأنت لا تدري عن كل ذلك شيئا لأنك منهمك فى أمور أخرى فى عالم الروح . ان حسك معطل نسبيا لأن روحك هى التى تعمل . هل يقول البعض عن هذا انه اختطاف الروح ؟ لا أدري ، ولكنى أعلم أن القديس يوحنا القصير كانت تمر عليه فى تأملاته فترات يتكلم فيها الناس اليه فلا يسمع صوتهم ولا يدري ماذا يقولون ، ويسأله السائل مرة أخرى فيجيبه القديس « ماذا تريد يا ابنى ؟ » ويكرر السائل طلبه ولا يسمعه القديس أيضا . لأن روحه منشغلة بأشياء أخرى أهم وأعمق وألصق بالسمع والذاكرة . وكانوا يسألونه أحيانا أسئلة فيجيبهم عنها بتأملات لاهوتية لا علاقة لها بما يسألون عنه ، لأنه لم يسمع ما قالوه . كانت روحه منطلقة من الحس . . .

الانطلاق من « الحكمة البشرية » أيضا :

والآن ، ماذا أقول ؟ هل أقول أن تنطلق الروح من نطاق الحكمة البشرية أيضا ؟ يخيل الى أننى أود أن أقول هذا « ألم يجهل الله حكمة العالم ، » « لأن الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة » « لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله ، لأنه مكتوب « الآخذ الحكماء بمكرهم » (١ كو ١ : ٢٠ ، ٣ : ٢٠ ، ١٩) .

على الرغم من أن العقل البشرى - منذ وجوده - قاصر ومحدود ، إلا أنه كان في حالة أفضل يوم خلق الله العالم ونظر الى كل ما عمله فاذا هو حسن جدا ٠٠٠ ولكن الخطية والعالم وما ورثناه عن القدامى من أفكار وأبحاث وخبرات وعادات وتقاليد ونظم وشكليات ٠ كل ذلك أرسب على العقل البشرى رواسب كثيرة حتى أصبح - زيادة على قصوره - معرضا للخطأ في كثير من أحكامه ٠ وهكذا لا يستطيع وحده أن يفهم الله أو يفحصه ، والذين يظنون أنهم حكماء وعقلاء ، ويعتمدون على حكمتهم وعقلهم هم أبعد الأشخاص عن الروحيات والالهيات ٠ وهكذا قال معلمنا بولس الرسول : « وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل من الله ٠٠٠ لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارئين الروحيات بالروحيات » (١ كو ٢ : ٤ ، ١٢ ، ١٣) .

أرأيت يا أخى الحبيب بطلان الحكمة البشرية ٠٠٠ فهل يلغى الله الحكمة على وجه العموم ، كلا ٠ بل يؤيدها ٠ وهكذا يقول معلمنا بولس فى نفس رسالته : « لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء الدهر الذين يبطلون ، بل نتكلم بحكمة الله فى سر » .

لذلك اذا أردت لروحك أن تفهم مقاصد الله ، فأطلقها أولا من حكمتك البشرية ، وقف أمام الله جاهاً فارغاً من كل علم وفهم ، حينئذ ستمتلئ بالمعرفة ، المعرفة الروحية الكاملة ، وليست المعرفة البشرية القاصرة « لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله »

أليس هذا ما يعنيه معلمنا بولس الرسول ان يقول : « ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلا لكي يصير حكيماً » . (اكو ٣ : ١٨)

تقدم الى السيد المسيح رجل ذو يد يابسة يطلب الشفاء ، فأمر السيد أن يمد يده فمدها فصارت سليمة (متى ١٢ : ١٠ ، ١٣) .
وتؤخذ هذه الحادثة دليلا على قدرة السيد وهذا صحيح ، ولكن لها وجهها آخر وهو تحطيم نطاق الحكمة البشرية . لو كان هذا الرجل متمسكا بالحكمة البشرية لجادل السيد في الأمر : « كيف أمد يدا يابسة ؟ هل اليد اليابسة تمتد . ولو كانت تمتد فما حاجتى الى الشفاء ؟ أشفنى أولا ثم أمدها » أما هذا الرجل فصار جاهلا لكي يصير حكيماً . فتجاهل الحكمة البشرية التي لا تؤمن بامتداد اليد اليابسة . والتي لا تؤمن لا بانتقال الجبل من موضعه ، ولا بمشى الرجل على الماء ، ولا بعدم التفكير في الغد

انها الحكمة البشرية التي جعلت الناس يضعون الله تحت المجهر هو وصفاته وتعاليمه ! . وهي « الحكمة » التي جعلت البعض يقبلون من الانجيل ومن قوانين الكنيسة ما يرونه بأفكارهم صحيحا ، ويرفضون ما لا يتفق ومنطقهم العقلى

أما أولاد الله فيتناولون كل شيء ببساطة وبغير تعقيد :
تريدنا يا رب أن نمشى في البحر الأحمر ؟ سنمشى اذن لأنك لا بد تشق لنا فيه طريقا فلا نغرق .

هناك أسطورة تقول ان البحر الأحمر لم ينشق عندما ضربه موسى بعصاه ، وانما انشق حالما رفع أول رجل قدمه ليضعها في الماء : انها مجرد أسطورة ولكنها تحمل في طياتها معنى ساميا من معانى الروح .

أود أن أخبرك الآن أن الروحيات
فى الصحراء والجبل لها طابعها الذى
يختلف عن طابع الروحيات فى المدينة ،
فمن أهم القيود التى تتعب العابد فى
المدن :

١٤٣٥ هـ / ١٩١٤ م

نظام الجدران الأربع

١٤٣٥ هـ / ١٩١٤ م

ولقد جربت هذا بنفسى ، كنت منذ سنوات فى معسكر فى
المأظه وهى بقعة صحراوية تقع على بعد أميال من ضاحية مصر
الجديدة . وكنت متعودا أنا وأحد اخوتى من مدارس الأحد أن
نصعد على أعلى رابية فى تلك الصحراء لنقضى وقتا فى الصلاة
والتأمل . وكانت مصر الجديدة ، تلك الضاحية الفخمة فى مبانيها
وشوارعها وتنظيمها وسكانها أيضا ، تظهر لنا على بعد كشيء ضئيل
تافه على مرمى النظر فى خط الأفق . ولم يكن يبدو منها غير بعض
اضواء بسيطة : لعاملين بسيطين هما عامل البعد وعامل الارتفاع .
وكنا نشعر أن روح كل منا انطلقت من احترام الطول والعرض
والارتفاع ، والفخامة والضخامة . والتنميق والتزييق ، وتساوى
أمامها القصر العالى والبيت الصغير ، إذ لا يبدو شيء من كليهما .
بل كنا نشعر بسعادة ولذة روحية ونحن جالسان على الرمل فوق
تلك الرابية المرتفعة ، سعادة لم نجدها فى المدن فى يوم من الأيام .

وفى عطلة من المعسكر رجعنا الى القاهرة وأقول لك الحق
يا أخى الحبيب اننى انزعجت من هذه العاصمة الصاخبة . وكنت
أسير فى الشوارع وفى رأسى وأذنى بركان ثائر من ضجيج الناس

وصوت السيارات والترام ووسائل المواصلات المتعددة • وعرفت
وسط هذا الصخب أنني لست بقادر أن أفكر تفكيراً منتظماً مرتباً
متلاحقاً ، كما كنت أفعل فوق الرابية المرتفعة •

وعندما أغلقت على باب مخدعي ووقفت للصلاة ، لم أستطع
أن أصلى ، كانت الجدران الأربع التي للغرفة بمثابة حاجز منيع
يفصلني عن التمتع بالله • وأقول لك في صراحة أنني خرجت من
غرفتي دون أن أصلى وسرت بعيداً بعيداً أبحث عن فضاء هادئ
مرتفع لا أرى فيه أمامي الأبنية والمنشآت ، وتصغر فيه نواحي
العمران والمدنية ، وبعد حوالي الساعة من السير وجدت مكاناً فيه
شيء ضئيل مما أطلب ، وهكذا رجعت الى منزلي ضيق النفس مشتاقاً
الى رابيتي المرتفعة مرة أخرى •••

وانقضت أشهر المعسكر ورجعنا الى العاصمة ، ووجدت
نفسى مضطراً الى تعود الصلاة بين الجدران الأربع • ولكن ذكريات
تلك الرابية المرتفعة ما زالت خالدة أمام عيني حتى اليوم ، ولكي
أحصل على جانب من التعويض كنت - بعد أن انتهى من درسي في
مدارس الأحد ، أصعد واخوتي الشبان الى سطح الكنيسة المرتفعة
لنلقى نظرة على القاهرة ، فنراها أيضاً في ظلمة المساء شيئاً ضئيلاً
لا تبدو منه غير أشباح أبنية تلمع فيها تلك النقاط البيضاء المضيئة •

ان روحك يا أخي الحبيب تود أن تنطلق هي أيضاً كالطير
من غصن الى غصن ، تود أن تصير كالملائكة الذين يسبحون في
السماء بغير روابط أو قيود • وان لم تستطع هذا باستمرار ،
فلا أقل من تهيئة فرص لها في بعض المناسبات •••

ان هذا يجعلني أتخيل التأمل اغزر وأوفر بالنسبة الى البحار
والفلاح وساكن الجبل وساكن الصحراء • ويخيل الى أننا سنصير
كذلك عندما نتخلص من نطاق الجسد ونصعد الى فوق ، حيث الله
والملائكة والقديسون •

وقد تناولت هذا الموضوع مع أبى الراهب ، فحدثنى عن اختبار روحى آخر ، حكى لى كيف انفرده فى قلايته ثمانية وعشرين يوما فى مستهل حياته الرهبانية . قابعا بين الجدران الأربع ، لا يرى انسانا ولا يتصل بانسان ، مجاهدا فى صراع عنيف بينه وبين الله ونفسه ، وكيف كانت تلك الحقبة من الزمن فترة « غربلة » قاسية لنفسه ، استطاعت فيها الروح أن تنطلق شيئا فشيئا من قيودها الكثيرة الى الله ، وتغتصب منه الوعود اغتصابا . . .

وبعد ذلك خرج الراهب من قلايته وقد تساوت أمامه الجدران واللاجدران . . .

وهنا أقدم لك فى هذا الموضوع مرحلة من مراحل الروحانية أسمى وأعمق . كانت المرحلة الأولى هى التبرم بالجدران الأربع ، أما هذه فهى مرحلة عدم الاحساس بالجدران الأربع ، حيث تجلس فى غرفتك . وتستغرق فى صلاتك أو تأملاتك أو قراءتك ، حتى لا تعود تشعر بكل ما حولك ، وانما تعيش فى عالم آخر يسمو على الحس ، لا تعرف فيه هل أنت فى غرفتك أم فى فضاء الدير ، هل قلايتك لها جدران أم ليس لها ، بل أقول انك فى تلك الحالة لا تستطيع أن تميز هل انتقلت اليك السماء وأنت على الأرض ، أم انتقلت وأنت على الأرض الى السماء ؟ بل دعنى أهمس فى أذنك يا أخى الحبيب أن هناك أشخاصا لم يستطيعوا أن يدركوا - فى حالات كهذه - هل هم فى الجسد أم خارج الجسد كما حدث للقديس بولس الرسول ، وكما روى عن القديس يوحنا الأسيوطى والشيخ الروحانى أيضا .

يتدرج بى هذا الموضوع ، موضوع انطلاق الروح من المكان ، الى تأمل آخر متعلق به وهو « الرؤى » .

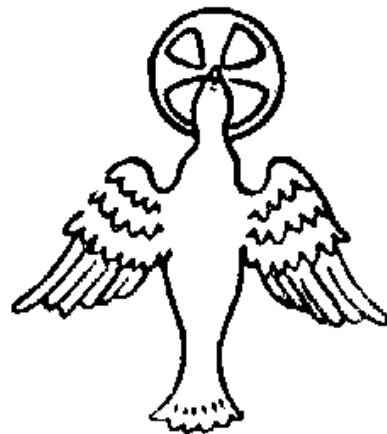
سمعنا فى هذا الأمر من قبل عن اختبارات القديسين يوحنا الحبيب والقديس بولس الرسول ، ويعوزنا الوقت إن استرجعنا

اختبارات الأنبا أنطونيوس والأنبا شنوده وغيرهما من القديسين الذين انطلقوا من أماكنهم وعاشوا بالروح فى أجواء وبيئات أخرى ، رأوا فيها أشياء عجيبة لا ينطق بها .

انما اذكر هنا قصة رواها لى أحد أخوتنا الأحباء عن كاهن ممتلىء بالروح كان واقفا يصلى فى المذبح فلما وصل فى صلاته الى عبارة « ورفع نظره الى فوق ٠٠٠ » رفع نظره هو أيضا ، وسادت الكنيسة فترة من الصمت العميق ، ومرت دقيقة ودقيقتان ودقائق كثيرة والكاهن القديس ناظر فى صمت الى فوق فى دهشة وذهول ، وطال الوقت جدا والشعب يتأمل كاهنه المبارك فى صمت ، وبعد فترة أخفض الكاهن بصره ، وأكمل صلاته فى عمق وحرارة دون أن يحس فترة الصمت التى مرت به . ولما أخبره أحد خواصه - بعد القداس - بما حدث وطلب منه ايضاح الأمر ، اضطرب ولم يجب ، ولما كثر عليه الالاحاح قال انه نظر الى فوق فاذا بالكنيسة - وكأنها بلا قبة ولا سقف ، واذا به يتأمل سلما طويلا يصل المذبح بالسماء . فتأمله لحظات كأنها جزء من الدقيقة ثم أكمل صلاته .

يتحدثون بعد ذلك عن الرهبنة كطريق الى الخدمة ، وما أرى الرهبنة الا طريقا الى السماء تساعد فيه الخلوة والتأملات والجهاد المستمر على دوام انطلاق الروح حتى تتحد بالله .

يخيل الى يا أخى الحبيب أن هناك أشياء أخرى لأقولها لك فى هذا الموضوع .



لم أكن فى هذه المرة سائرا فى
الصحراء ولا جالسا على عتبة الدير ،
وانما كنت مع أبى الراهب أمام مغارته
فى الجبل ، نتابع حديثنا الماضى
عمن هو :

أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

الروح التى تود أن تنطلق يا أخى الحبيب هى الروح التى
تدرك تماما قدر ذاتها ، والتى تعرف أنها عظيمة بهذا المقدار كله ،
وانها أكبر وأكبر جدا من أن يذلها الجسد أو تذلها البيئـة
أو يذلها الشياطين .

ولكى أعطيك فكرة عن هذا الأمر ، يليق بنا جدا يا حبيب الله
أن نبحث الأمر معا ، ونتذكر الماضى والحاضر والمستقبل أيضا ،
حتى ندرك أية قوة مخبأة فينا ونحن لا ندري . نتذكر أن الانسان
هو المخلوق الوحيد الذى خلق على صورة الله ومثاله (١) ، فان
طلب اليك أن تعرف ذاتك ، فقل فى قوة وثقة « أنا صورة الله » .

وأنت - كصورة الله - قد كتب لك الخلود . فمن المحال أن
تفنى . وهل يعقل أن يفنى شخص على مثال الله الخالد !؟ اذن
فأنت أعظم من الجبل الشامخ ومن البحر الخضم ، أعظم من الشمس
المتهبـة ومن القمر المضيء . أعظم من الصحراء الواسعة ومن السهل
الفسيح . أعظم من الذرة المحطمة ومن كل قوات الطبيعة على

(١) تك ١ : ٢٧ .

الاطلاق • فكل هذه الأشياء تزول ، لأن السماء والأرض تزولان
كما يقول الكتاب (٢) • وأما أنت فلك الحياة الأبدية كما وعدك
السيد المسيح (٣) أنت أنت يا صورة الله •

أنت ملك الأرض وما عليها :

أنت يا أخى العظيم المخلوق الالهى الوحيد ، أنت - من دون
الأرض وما تحتها وما عليها - المخلوق الذى أعطاه الله - كما أعطى
الملائكة - موهبة العقل وموهبة النطق ، والذى أعطى أن يعرف الله
ويتعبد له • أنت الذى جعل الله مسرته فيك ، وهذه الطبيعة كلها التى
تظنها أحيانا أعظم منك ، ما خلقها الله الا لتكون فى خدمتك ،
فتسخرها جميعا حسب ارادتك ووفق سلطائك ••

وهكذا خلق الله أولا كل شيء ، ثم أوجدك أخيرا ، لتكون ملكا
على كل ما خلقه من قبل ، تكون ملكا على طيور السماء وسمك
البحر وحيوانات البرية وعلى كل الأرض (٤) ، أنت يا من تستضعف
ذاتك وتخاف من الصقر والحوت والأسد وأشباهاها ، من عبيدك
الضعفاء الذين كانوا فى خدمتك فى يوم ما ••

لا تظن أنك كنت هكذا قبل الخطيئة فقط ، انما كان الأبرار
فى كل العصور لهم هذه الهيبة وهذا السلطان أيضا : ان شمشون
قاضى اسرائيل ضرب الشبل بيده فوق صريعا ، ودانيال كان فى
جب الأسود ولم تضره الأسود فى شيء ، ويونان ابتلعه الحوت
وأخرجه دون أن يقوى على ايدائه ، والثلاثة الفتية دخلوا فى أتون
النار فكانت النار بردا وسلاما •• ومثل هذا يقال فى العهد الجديد

(٢) مت ٢٤ : ٣٥ •

(٣) يو ٤ : ١٤ •

(٤) تك ١ : ٢٦ و ٢٨ •

أيضا على القديس مرقس وأسده ، وعلى القديس بولس الذي
نشبت أفعى كبيرة فى يده فنفضها الى النار ولم يتضرر بشيء ردىء
حتى تعجب الناس وقالوا « هو اله » (٥) انه أنت الذى أعطيت
سلطانا أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (٦) .

آه يا أخى الحبيب لو عرفت قدر روحك ، هذه التى تحبسها
بخطيئتك فى سجن من الذلة والجبن والخوف ، وهى - من وراء
قضبان سجنك - تتطلع الى مجدها السالف وتود انطلاقا ، لو
سمحت أنت لها .

أنت المخلوق الالهى :

أنت « يا جبار البأس » مخلوق الهى ، أنت الذى قال له الله
الابن أثبت فى وأنا فىك كما يثبت الغصن فى الكرمة (٧) . أنت
الذى يقرع الله على بابك ويود أن تفتح له فيدخل ويتعشى معك
وأنت معه وعندك يصنع منزلا (٨) .

أنت صورة الله التى تحمل صفاته : أنظر الى السيد المسيح
له المجد يقول عن نفسه : « أنا نور العالم » ثم يقول لك ولاخوتك
معك « أنتم نور العالم » (٩) .

أنت الذى طلب منه أن يسعى ليصير مثل الله ، كما يظهر من
قول السيد له المجد « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات

(٥) أع ٢٨ : ٣ - ٧ .

(٦) من صلاة الشكر .

(٧) يو ١٥ : ٤ .

(٨) يو ١٤ : ٢٣ .

(٩) مت ١٥ : ١٤ .

هو كامل ، • أنت الشخص الذى وجد الله لذة فى أن يدعو ابنه ،
أنت الذى صب الرب ماء وغسل رجليك ومسحهما بالمنشفة
التي كان متزرا بها •

أنت الذى قال الرسول عن أعضاء جسدك انها أعضاء
المسيح (١٠) •• !!

أنت الوحيد الذى قيل عنك أنك هيكل الله وروح الله يسكن
فيك (١١) ••

أنت الذى تشتهى الملائكة أن تكون مثلك ، يا من أنت وحدك
تتناول جسد الرب ودمه الطاهرين ، يا من قال الرب أنه يريدك أن
تكون واحدا فيه وفى الآب (١٢) •

أنت الذى تخدمه الملائكة :

ملك الرب حال حول خائفيه وينجيهم (١٣) • ألم تر يا أخى
المحبوب كيف أرسل الرب ملاكين لانقاذ لوط من سدوم ، وكيف
أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود أمام دانيال ، وكيف قال أليشع
لتلميذه : « لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا ••• وفتح
الرب عيني الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات
نار (١٤) » وكيف أحضر ملك الرب طعاما لايليا وهو نائم تحت
الرتمة فقام ايليا وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين يوما (١٥)
وكيف حمل ملك الرب حبقوق ليقدم طعاما لدانيال فى الجب (١٦) ••

(١٠) ١ كو ٦ : ١٥ (١١) ١ كو ٣ : ١٦

(١٢) يو ١٧ : ٢١ (١٣) مز ٣٤ : ٧

(١٤) ٢ مل ٦ : ١٥ - ١٧ (١٥) ١ مل ١٩ : ٥ - ٩

(١٦) دا ١٤ : ٣٥ - ٣٨

ويعوزنى الوقت أن أحدثك يا حبيب الرب عن الخدمات التي قدمها الملائكة لك ولاخوتك ، وعن اهتمامهم بك ، وشفاعتهم فيك .
انك مخلوق مهم .

أنت الذى دعيت لها :

أنت يا أخى المحبوب الشخص الذى دعى لها من الله والناس ،
« ألم أقل انكم آلهة ، وبنى العلى تدعون (١٧) وقال الله من قبل لموسى « أنا جعلتك لها لفرعون (١٨) » . ليس المقصود طبعاً الالوهه كالله ، وانما السيادة .

وأيا كان معنى هاتين العبارتين فانهما تدلان بلا شك على
المكانة الكبرى التى لك عند الله يا أخى الحبيب .

أنت تحل وتربط فى السماء :

ان كان مما يرفع قدرك جدا أن يذهب السيد المسيح بنفسه
ليعد لك مكانا عند الآب فى السماء ، ثم يأتى ويأخذك اليه قائلاً لك :
« تعال يا مبارك أبى رث الملك المعد لك منذ انشاء العالم » أفليس
بالأكثر تعلق نفسك فى مقدارها علوا عندما يضع الله فى يديك
مفاتيح السموات ، ويقول لك : ما حلقته على الأرض يكون محلولاً
فى السماء وما ربطته على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، بل أكثر
من هذا يعطيك سلطان الغفران واللاغفران (١٩) ، يعطى كل هذا
لك أنت أيها الانسان ، يا صورة الله ومثاله ، بل يا من ظهر الله فى

(١٧) مز ٨٢ : ٧ (١٨) خر ٧ : ١

(١٩) هذه العبارة تخص الكهنة طبعاً ، والكاهن انسان ،

وهذه المقالة تتحدث عن الانسان من حيث كونه انساناً ، بجميع
أفراده ، وجميع الأجيال التى مر بها .

شكله وأخذ جسدا مثله ، ناسوته لم يفارق لاهوته لحظة واحدة
ولا طرفة عين .

أنت صديق الله :

تذكر أن الله - تسامت حكمته - قبل أن يحرق سدوم وعمورة
يقول : « هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله . و ابراهيم يكون أمة
كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض (٢٠) ؟ ! » وهكذا يعلن
الله مشيئته لصديقه ابراهيم ، ويناقشه ابراهيم في الأمر مناقشة
فيها عتاب وفيها دالة وفيها جرأة « أفتهلك البار مع الأثيم .
حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر . . حاشا لك . أديان الأرض
كلها لا يصنع عدلا (٢١) ؟ . هذه دالة . ليست مجرد كلام عبد
لسيده ، أو مخلوق لخالقه ، وانما هي عبارات صديق يعرف
مكانته عند صديقه .

وهو ذا موسى يفعل الأمر نفسه في حديثه مع الله أيضا عندما
أراد الله اثناء شعبه « . . . الآن ان غفرت خطيتهم ، والا
فامحني من كتابك الذي كتبت (٢٢) » . دالة وصداقة من غير
شك !! .

هل عرفت يا أخى قيمة روحك ، ومقدار عظمتها أمام الله ،
أو تقبل بعد ذلك على كرامتك أن يعبت بك شيطان حقير ، وقد
أعطاك الله سلطانا على جميع الشياطين ؟ ! لا أظن ذلك .

(٢٠) تك ١٨ : ١٧ و ١٨ .

(٢١) تك ١٨ : ٢٤ - ٢٦ .

(٢٢) خر ٣٢ : ٣٣ .

كان مستغرقا في نومه

... كان مستغرقا في نومه حين همس الملاك في أذنه « الى متى تعيش هكذا ؟ ظلا لانسان آخر يتحكم فيك كما يشاء ؟ ! » وكان الصوت مترفقا نصوحا فلم يفزع ذلك النائم وانما رد في هدوء « ماذا تعنى يا سيدى الملاك ؟ » فأجابه الملاك « أقصد أنك فى أفكارك وفى حياتك الروحية قد فقدت شخصيتك ، وأصبحت تعيش بشخصية غيرك . هناك رجل آخر كبر فى عينى نفسه ، ثم ظل يكبر فى عينيك أنت ، حتى جعلته مثلك الأعلى تتبعه فى كل شيء : ترتفع معه ان ارتفع ، وتسقط معه حيثما سقط ، أراؤه أراؤك ، وانحرافاتة هى انحرافاتك ، بل انك تدافع عن أفكاره أكثر مما يدافع هو عنها . وأنت تؤمن بمبادئ هذا « السيد » دون نقاش ، يكفيك أن معبودك هذا قد نطق بها فى وقت ما » .

وأحس ذلك النائم أن كل ما قاله الملاك صحيح ، ولكنه أراد توضيحا لموقفه فقال : « وهل من ضير ياسيدى الملاك فى أن أتبعه ما دامت كل أفكاره سليمة ليس فيها شيء من الخطأ ؟ فقال الملاك : « ومن أدراك أن كل أفكاره سليمة ؟ هل تؤمن بأن سيدك هذا معصوم من الخطأ ؟ أليس من الجائز أن يخطيء كانسان ؟ وان أخطأ فكيف تعرف ذلك ، ما دمت لا تسمع الا أفكاره ولا تود أن تقبل غيرها ؟ وما دام كل شخص يعارض أفكار هذا « السيد » هو فى نظرك شخص لا يصح أن تستمع اليه ، وان استمعت فبروح الجدل ، محاولا أن ترد على كل فكرة وأن تنقضها دون أن تتفهمها لا لشيء الا لأنها تعارض آراء سيدك !! » .

وفرك النائم عينيه فى خجل ليتحقق ما اذا كان صاحيا أم نائما
بينما استمر الملاك فى حديثه : « ان روحك حبيسة تود أن تنطلق
ولا تستطيع ، لأنها مقيدة بقيود هذا الانسان انه يعطيك
من المعلومات ما يريدك هو أن تعلمه : يعلن لك ما يشاء من
الحقائق ، ويحبس عنك ما يشاء . وحتى المعلومات التى عندك من
ذاتك ، والتى تكتسبها عن غير طريقه ، خاضعة هى أيضا لمراجعتة .
انك قد فقدت شخصيتك تماما . وأصبحت لا تتصرف من تلقاء
نفسك . كلما حاقت بك مشكلة تستصرخ به لينقذك . وكلما
عرض لك أمر من الأمور لا تحاول أن تبت فيه بحل حتى يجيء
« سيدك » ويحله . وان تصرفت فى الأمر يستطيع أن يلغى تصرفك
متى يشاء وكيف يشاء دون أن تعترض . ان أقصى ما يمكن أن
تصل اليه فى حياتك هو أن تصبح صورة باهتة من هذا الانسان .
شخصيتك التى خلقك الله بها قد ضاعت ، وشخصيته هو لن
تستطيع أن تصل اليها تماما ، لأن الظروف الروحية والعقلية
والاجتماعية التى كونتها هى غير ظروفك . وهكذا أراك تتأرجح
فى وضع غير مستقر بين الحالتين » .

واستمع ذلك النائم الى كل هذه العبارات وهو يشعر أنها
تمس صميم نفسه ، بل انه فيما بينه وبين نفسه يحس أنه قد
أصبح ضيق الصدر بسطان ذلك « السيد » .

وهكذا وجد الشجاعة فى أن يطلب الى الملاك أن يوجد له حلا
فقال « ولكن كيف أستطيع يا سيدى الملاك أن أناقش معلمى » ؟
فأجاب الملاك : « أقول لك - والقياس مع الفارق - ان الله يحب
أن يكون أولاده أقوياء الشخصية حتى أنه كان يسمح لهم ان
يناقشوه » . أنظر الى أرميا وهو يقول « أبر انت يا رب من
أن أخاصمك ولكنى أكلمك من جهة احكامك ، لماذا تنجح طريق
الأشرار ، اطمأن كل الغادرين غدرا » (أر ١٢ : ١) واستمع الى
ابراهيم وهو يناقش الله تمجد اسمه ويقول له : « حاشا لك أن

تفعل مثل هذا الأمر .. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلا ؟ ،
(تك ١٨ : ٢٥) وانتقل معي أيضا الى موسى وهو يكلم خالقه
فوق الجبل بنفس الأسلوب فيقول له : « ارجع عن حمو غضبك ،
واندم عن الشر » (خر ٣٢ : ١٢) .

فقال النائم للملاك « والآن ماذا تريد يا سيدي الملاك أن أفعل ؟ »
فأجابه الملاك « أريد ألا تلقى قيادتك الى انسان معين ، وانما استمع
الى الكثيرين ، وأقرأ للكثيرين ، واستعرض ما تشاء من الآراء .
وليكن لك روح الافراز ، فتميز الرأي السليم من الرأي الخاطيء ،
وتعتنق من كل ذلك ما يناسب حالتك أنت بالذات من جهة
تكوينك الروحي والعقلي ، وما يناسب ظروفك الاجتماعية والعملية ،
ويتناسب أيضا مع سنك ، عالما أن هناك طرقا كثيرة تؤدي الى
الله ، وقد يكون الطريق الذي صلح لغيرك غير الطريق الذي
يصلح لك أنت بالذات ، الطريق الذي اختاره لك الله - وليس
الناس - دون غيره من الطرق .

.. ثم استيقظ النائم من نومه ، ليرى نفسه انسانا جديدا ،
قد انطلقت روحه ، حرة من كل قيد ، تبحث عن الحق أينما وجد ،
ولا تؤمن بعبادة الأشخاص ..



إعرك ذاتك

هل تود أن تكون كاملا يا أخى الحبيب ؟ وهل تريد أن تنطلق
روحك انطلاقا الى حيث لا قيود ولا حدود ؟ اذن فعليك قبل كل
شيء ، أن تفرغ ذاتك من كل شيء : من كل ما أرسبه فوقك العالم
من رغبات وعلوم وأحاسيس ..

• عليك أولا أن تنكر ذاتك ، وان تقف أمام الله كلا شيء .
اعرف نفسك بالحقيقة ، من أنت ؟ ألسنت مجرد حفنة من تراب ،
من تراب الأرض .. ؟ بل أنت أقل من تراب . أنت عدم ، لا شيء
مر وقت لم تكن فيه موجودا ، ومع ذلك كان العالم عالما ، من
غيرك . ثم كونك الله اذ لم تكن : خلق التراب أولا ، ثم خلقك من
تراب . علام اذن ترتفع ، ومن أنت حتى ترتفع ؟ اخفض رأسك
فى خجل وذلة . فأنت عدم . وقف أمام الله فى انكسار نفس
وانسحاق روح ذاكرا أصلك القديم .

• هل عرفت انك عدم ؟ بل أصارحك أيضا انك أقل من عدم .
فالعدم هو لا شيء ولا شيء خير من الخطية التى جلبها الانسان اذ أن
« تصور قلب الانسان شرير كل يوم » (تك ٦ : ٥)

فان وجدت فيك شيئا صالحا ، تيقن تماما أنه ليس منك ، بل
هو من الله الكلى الصلاح ، والكامل القدوس وحده ، لأنه ليس

أحد صالحا الا الله وحده (متى ١٩ : ١٧) . ان وجدت فيك شيئا صالحا فلا تنتفخ ولا تتفاخر ، ولا تحارب نفسك بالبر الذاتى ، وانما ارجع المجد لله ، لأنه هو المستحق وليس أنت ، فالله هو الذى صنع الخير ، لأنه صانع الخيرات ، بل لأنه هو الخير ذاته ، وهو الصلاح ذاته ، وأنت بدونك فناء لا تستطيع أن تعمل شيئا . فلا تسرق مجد الله وتنسبه لنفسك . قد تضىء كالقمر ، ويزداد ضياؤك حتى تظهر بدرا ، ولكن فى كل ذلك تذكر أن القمر هو كوكب مظلم يستمد نوره من الشمس ، وليس فيه ضياء من ذاته ، وان احتجبت عنه الشمس لا يظهر منه شيء لأنه مظلم بطبيعته . أتري يستطيع القمر أن يتحدث عن « نوره » أمام الشمس ؟ ! هكذا انت أيها الحبيب أمام الله .

أما ان وجدت فيك شرا فاعرف أنه منك ، من الخطية الرابضة التى اشتقت اليها . وكنت تسود عليها فسادت عليك (تك ٤) ، لأنه ليس شر من قبل الله . الله الذى لا يتفق الشر مع طبيعته والذى بعد أن عمل كل شيء بيديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس ، « نظر الى كل ما عمله فاذا هو حسن جدا » .

هل عرفت ذاتك يا أخى الحبيب ؟ وهل أدركت أن انكار الذات هو القاعدة الاساسية لعلاقتك مع الله ؟ لست أقصد أن تعتبر ذاتك شيئا تتواضع فتتكبره ، لأن ذاتك لا شيء ، عدم وفناء . . . ولست أحب أن استعمل كلمة « تواضع » لأن المتواضع هو الكائن الذى يتنازل من مكانه الى درجة أقل ارتفاعا وأدنى سموا . أما انسان حقير مثلى ومثلك ، كان ترابا وعدما ، مستحيل عليه أن يتواضع ، اذ ليست له درجة حتى يرفضها ، أو كرامة حتى يتخلى عنها . وليس هو مرتفعا حتى ينزل ، أو ساميا حتى يتضع . وانما كل ما أقصده من انكار الذات يا أخى المحبوب هو

أن تعرف ذاتك ، فتدرك أنه لا قيمة لك على الإطلاق . وإنما هو الله الذى يتحنن عليك فيهبك ان أحببته ، شيئاً من مجده ، الذى لا تستحقه ، لولا رحمته ولولا تواضعه هو وتنازله .

دعنا نتدارك اذن فنتأمل تلك الآية الجميلة التى تقول « . . اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود لكى لا يفخر كل ذى جسد أمامه » (١ كو ١ : ٢٧ - ٢٩) .

فما معنى هذا ؟ ألا يصلح للمكوت الله الا الجهال والضعفاء والمحتقرون ؟ ! كلا . فقد اختار الله قوما مثقفين من أمثلة موسى وبولس وارسانيوس ، كما اختار القديسين الفلاسفة أثيناغوراس وبنطينوس واوغسطينوس . واختار الله رجالاً أقوياء مثل شمشون والقوى الأنبا موسى ، واختار رجالاً محترمين مثل داود الملك والأميرين مكسيموس ودوماديوس . . .

فكيف التوفيق بين الأمرين ؟

ليس المقصود اذن أن الله لا يختار الا الجهال والضعفاء والمحتقرين ، بل لعل المقصود هو أنه - تبارك اسمه - يختار الأشخاص الذين مهما بلغوا من علم أو قوة أو كرامة ، يقفون أمامه كجهال وضعفاء محتقرين .

فهذا موسى الذى تهذب بكل حكمة المصريين ، لم يرسله الله عندما كان واثقاً بنفسه ، ومعتمداً على قوته البشرية . ولكنه دعاه عندما وصل الى الدرجة التى قال فيها « من أنا حتى أذهب الى فرعون وحتى أخرج بنى اسرائيل من مصر ، . . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان » (خر ٣ : ١١ ، ٤ : ١٠) .

وهذا هو بولس الذى درس الناموس وتعلم تحت قدمى
 عمالائيل ، لم يرسله الله الا عندما وصل الى الحالة التى يستطيع
 أن يقول فيها : « ٠٠٠ لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض
 فهم الفهماء • أين الحكيم • أين الكاتب • أين مباحث هذا الدهر •
 ألم يجهل الله حكمة هذا العالم ٠٠٠ وأنا كنت عندكم فى ضعف
 وخوف ورعدة كثيرة وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة
 الانسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة » (١كو١: ١٩، ٢: ٣، ٤) •
 وأرسانيوس لم يجعله الله أباً ومرشداً ، عندما كان معلماً
 للأميرين أركاديوس وهونوريوس فى قصر أبيهما الامبراطور
 ثيودوسيوس • بل عندما تنقت روحه وأصبح فى امكانه أن يقول عن
 نفسه : « ان أرسانيوس معلم أولاد الملوك » الذى درس حكمة
 اليونان والرومان ، لا يعرف الألفا فيتا التى يعرفها هذا المصرى
 الأسمى •

هل تظن يا أخى العابد أنك ستبنى ركنا فى الكنيسة بعلمك
 وثقافتك؟! يا لك من مسكين • الحق أقول لك ان لم تنطلق من
 اعتمادك على معرفتك فلن تصل الى الله ، ولن يبارك الله لك فى خدمة
 لأنك ان نجحت فسوف ينسب الناس نجاحك الى ما وهبه لك العالم
 من شهادات واجازات علمية ، وهكذا يسلب من الله مجده ويعطى
 للعالم • الله - يا أخى المتعلم - قادر فى القرن العشرين أن يذهب
 الى البحيرة من جديد ، ويختار صيادا جاهلا لكى يقيمه رسولا
 وكاروزا • فيعلم الناس خيرا منك • ان الله عندما شق البحر الأحمر
 لم يختر لذلك قضيبا من ذهب ، وانما عصا بسيطة كانت توجد
 ملايين من مثيلاتها فى العالم •

فحاذر أن تظن فى نفسك أنك شئ ، أو أن تغتر بثقافة العالم •
 وحاذر - حتى فى حياتك الروحية الخاصة - أن تعتمد على معرفتك
 العالمية أو الدينية أو قراءاتك الروحية أو خبراتك القديمة • وانما

كلما ازدادت علما ، وكلما تعمقت فى الروح ، قف كل يوم أمام الله وأنت شاعر بجهلك وعجزك وأنت محتاج اليه ليرشدك ، كمبتدىء ، مهما كنت قديم الأيام • قف أمامه وأنت شاعر بحاجتك الماسة اليه ليحميك من أضعف الشياطين ، ومن أبسط الخطايا فى نظرك ، ومن أتفه الزلات أمام عينيك •

ليكن لك هذا الشعور • لأنى رأيت كثيرين بعد أن قرأوا وكتبوا عن عمق الروحيات يسقطون فى خطايا المبتدئين ••• وأقول لك هذا أيضا خوفا من أن ثققت بعلمك الروحى وخبرتك الروحية • تجعلك تعتمد على ذراعك البشرى ، « وملعون من يتكل على ذراع بشر » •

واعلم يا أخى الحبيب أن كل علم روحى أو عالمى لا يقودك الى حياة الانسحاق والى الشعور بالجهل ، هو علم باطل وخداع للنفس ، بل هو ضربة من الشيطان يصرفك بها عن أن تسأل وتطلب وتقرع الباب •• فاشعر يا أخى بجهلك اذ يقول الكتاب : « ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر ، فليصر جاھلا لى يصير حكيما » (١ كو ٣ : ١٨) •

وكما أنه أمام الله يتساوى الحكيم والجاهل فى أنهما كليهما جاھلان وأن موت هذا كموت ذاك ، ونسمة واحدة تهب على الاثنين كذلك أمام الله يتساوى الضعيف والقوى لأنهما كليهما ضعيفان ، اذ ليست هناك قوة لأحد فى حضرة الله •

هل تعتقد يا صديقى أنك قوى ؟ اذن فمن أين أتتك القوة ؟ انها ليست من ذاتك طبعا لأنك تراب ورماد ، بل عدم وفناء • وهى ليست من كائن آخر غير الله ، لأنه - تبارك اسمه - هو وحده القوى ، ومنه تستمد كل قوة • فهل قوتك اذن من الله ؟ ان كان الأمر كذلك فلماذا تفتخر ؟ ولماذا تتصلف ؟ ولماذا تستخدم قوة الله فى غير أعمال الله ؟ اذن فان افتخر أحد فليفتخر بالرب ، لأنه - تعالى

فى مجده - مصدر كل شىء يدعو الى الفخار ، وان كنت أيها الانسان الضعيف بطبيعتك قويا بالله ، فقل اذن كما قال الطوباوى بولس : « فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل على قوة المسيح . لذلك أسر فى الضعفات ٠٠٠ لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى » (٢ كو ١٢ : ٩ ، ١٠)

الشخص الذى يعتقد فى نفسه أنه قوى لا يستخدمه الله . لأن الله يختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء ، فحاذر من أن تثق بقوة مزعومة لك . لأن الخطية « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء » . وانما قل مع داود البار « ارحمنى يا رب فانى ضعيف ، أشفىنى يا رب فان عظامى قد اضطربت ، ونفسى قد انزعجت جدا » . تأكد يا أخى من ضعفك ، ليس لأنى قلت هذا وانما لأنها الحقيقة الواضحة . ألم تسقط اليوم وتخطىء ؟ ألم تخطىء أمس وقبلنا من أمس ؟ لست قويا لذن ، بل ضعيفا ومثالا للضعف . وستظل كذلك حتى تعترف بضعفك ، وتسرع وتثبت فى الآب والآب فىك .

نصيحة أخرى أهمس بها فى أذنك : لا تجلس فى خلوتك وتظن أنك أقوى من الناس ، وتستعرض المشروعات العظيمة التى يمكنك القيام بها لو أعطيت لك سلطة ، أو لو كنت فى مكان الآخرين . انك لست قويا يا أخى بهذا المقدار ، وما هذه الا أحلام اليقظة ، أو لعله الغرور . أما أنت فضعيف ، وربما لو كنت فى مكان أولئك الخطاة الذين تنتقدهم لأخطأت أكثر منهم ، ولأظهرت ضعفا أكثر من ضعفهم . ان كنت قد انتصرت فى الماضى أو تنتصر الآن ، فسبب ذلك هو وجود الله معك ، وليس السبب أنك قوى . احتفظ اذن ببقاء الله معك عالما أنه لن يرضى بالبقاء طالما أنت تعبد ذاتك بدلا منه .

واحد من اثنين يعمل فى الميدان : اما الله واما أنت . ان كنت تعتقد أن الله هو الذى يعمل ، وأنت لا شىء الى جواره ، بل انك

متفرج تنظر الى أعمال الله فى اعجاب ، ان كنت تعتقد هذا فحسنا
تفعل • أما ان كنت أنت الذى تعمل ، وأن لك من القوة ما يكفل
لك ذلك ، فثق أن كل ما تعمله باطل هو ، وستفشل فيه •

لست أقول هذا عن خدماتك وأعمالك الخارجية ، وإنما عن
صميم حياتك الروحية أيضا ، ان اعتقدت أنك أنت الذى تجاهد
لترث الحياة الأبدية ، فسوف تفشل فى جهادك • وان اعتقدت أن
خطية ما لم يعد لها سلطان عليك ، فقد تسقط فيها ولو بعد حين ،
ويكون سقوطك عظيما •••

ولكن الحل الصحيح هو أن تشعر بضعفك ، فى أرض تنبت لك
شوكا وحسكا ، أن تشعر بضعفك ، أمام كل تجربة وكل خطية
قائلا مع المرنم : « لولا أن الرب كان معنا ليقبل اسرائيل ، لولا
أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا لا بتلعونا ونحن أحياء ،
عند سخط غضبهم علينا » (مز ١٢٢) وهكذا تصرخ الى الله ، ثم
تنظر كيف يحارب عنك وينتصر فتمجد الله وليس نفسك ، لأن النصر
كانت من عنده •

وأخيرا ، أشعر أن هناك أشياء كثيرة لنتحدث عنها معا فى
هذا الموضوع ، فاذكرنى يا أخى الحبيب فى صلاتك حتى نلتقى مرة
أخرى ونكمل تأملنا ، ان أحببت نعمة الرب وعشنا •

ذاتك

كلمتك فى المرات السابقة عن
انكار الذات ، وما يزال هناك كثير
أقوله لك فى هذا الموضوع حتى نصل
سويا الى انطلاق الروح .

ومديح

الناس

أتريد يا أخى أن تصل الى الله ؟ أتحب أن تردد عبارة الطوباوى
بولس « لى اشتهاى أن انطلق وأكون مع المسيح فذاك أفضل جدا ،
اذن فانطلق أولا من ذاتك ، من ذاتك التى تعبدها بدلا من الله
وتحاول باستمرار أن تراها ممجدة معظمة أمام الآخرين .

هل يمجدك العالم يا أخى الحبيب ، وهل تقبل منه هذا
التمجيد ؟ يا لك من مسكين . . . ألسنت تعلم أن المجد لله وحده ؟
لأنه خالق الكل ومصدر جميع الكائنات ولأنه الوحيد الواجب
الوجود ، والأزلى ، والقادر على كل شىء ، والمالىء كل مكان . . .
ألسنت تعلم اذن أنك ان مجدت ذاتك ، أو مجدك الناس فانما تسلب
صفة من صفات الله . وتنسبها الى نفسك !! أهى التجربة التى
حاربت أياك آدم ، اذ لم يكتف بما وهبه الله من نعيم ، بل أراد
أن يكبر حتى يصير مثل الله ؟

ومن أنت يا أخى حتى تتمجد ؟! هل للتراب مجد ، أو للرماد
كرامة أو للعدم احترام وهيبة ؟! ثم ألسنت خاطئا مثلى ، وان كان
الله قد سترك وأخفى عيوبك عن الناس - فهل للخاطيء مجد ،
وهل للضعيف كرامة ؟ اذن لماذا تتمجد نفسك ، وأنت تعرف حقيقتك
بكل ما فيها من خطايا ونقائص وعيوب . . .

هل تفعل هذا لأن الناس لم يعرفوا حقيقتك بعد ، ولم يعلموا كل شيء من ماضيك ، ولم يكتشفوا كل ضعفائك ، ولم تظهر أمامهم أخطائك ؟ لماذا اذن تخدعهم وأنت تعلم ؟ بل لماذا تخدع نفسك ، والخداع لا يفيدك شيئاً ؟؟ لهذا الحد تستغل ستر الله وكتمانه حالتك عن الناس . . . أتوده اذن أن يعلن للآخرين أفكارك وأحاسيسك ورغباتك المكبوتة . . . !!

ثم لماذا تبحث عن مجد زائل ، لا يصحبك بعد الموت ، ولا يقف معك في يوم الدينونة ، أمام الديان العادل ، الذى لا يتأثر فى حكمه عليك برأى الناس فيك ، لأن كل شيء مستور ، هو عريان قدامه . . .

الا يزال عزيز عندك مدح الناس ؟ ألسنت تعرف أن مديحهم زائف : لأنه يكون أحياناً على سبيل المجاملة أو التشجيع أو التملق أو الخجل ، كما أنهم حتى ان صدقوا وأخلصوا فهم انما يحكمون حسب الظاهر وليس فيهم من يقرأ فكري ، أو يعرف نياتك ، أو يدخل الى قلبك ليفحص ما فيه . . .

يا أخى الحبيب : اننى ولا شك قد أثقلت عليك بأفكار مجتمعة فهل تريد أن أقص عليك قصة ، لتكن اذن قصة نبوخذ نصر (دا ٤ : ٢٩ - ٣٣) : هل تعرف كيف نسب لنفسه مجداً زائلاً ؟ وهل تعرف كيف كانت نهايته ؟ اذن ليته يكون درساً لك . . .

أتراك تضايقت ؟ سامح ضعفى ، وأسلوبى الخشن فى التعبير . ولكن أهى عادتك باستمرار أن تتضايق من شخص يكلمك بصراحة ؟ لا يتملكك ، ولا يستعمل معك ألفاظ التفخيم التى يستعملها الناس . . . لماذا ؟ . . . الأولى بك يا أخى العزيز أن تحب هذا

الأسلوب ، لأنه يوقفك أمام حقيقتك ، وما أشد احتياجك الى الوقوف أمام هذه الحقيقة ، حتى تعرف نفسك ، تلك المعرفة اللازمة لخلاصك .

ولكن دعنا نناقش الأمر معا . لماذا تريد أن تظهر عظيما أمام الآخرين ؟ أهو مركب النقص ؟ هل تشعر فى ذاتك أنك فى درجة صغيرة . وتريد أن تعوض ذلك بأن تكتسب مدح الناس بكافة الطرق : ان مدحوك سررت ، وان هاجموك دافعت بحرارة عن نفسك حتى لا تظهر أمامهم معيبا ، وان وقفوا منك محايدين لا مدح ولا مهاجمة ، لم يعجبك هذا أيضا وأخذت تتسول مدحهم بأن تحدثهم عن فضائلك حتى يعجبوا بك فيمدحوك

أهذه هى الحقيقة ؟ ان كانت كذلك ، فلنحاول مناقشتها معا :

حسن يا أخى أن تشعر بأنك ناقص وخاطيء وضعيف وأقل من الناس جميعا ، ولكن علاج هذا النقص لا يأتى بإضافة نقص جديد اليه عن طريق محبة مدح الناس ، وانما يأتى بتكميل الذات واصلاح أمرها .

لماذا يهتك رأى الناس فيك ومدحهم اياك ؟ ألعك ستدخل ملكوت الله ان رشحك الناس لهذا ؟! اذن فاعلم أن كثيرا جدا من الذين يمدحهم الناس سيلقون فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت . . « وويل لكم ان قال فيكم الناس حسنا » (لوقا ٦ : ٢٦)

مدح الناس يا صديقى وقتى وزائل . وهم لا يثبتون على حال الذين هتفوا للسيد المسيح كملك . صرخوا أيضا قائلين « أصلبه أصلبه » ومدح الناس أيضا زائف لأنهم لا يعرفون الحقيقة تماما .

اليك سؤال يهمنى أن تجيب عليه اجابة صريحة : ماذا يكون شعورك عندما يمدحك الناس وأنت تعرف عن خفاياك ما يخجل ؟

هل تنسى أثناء مدحهم تلك الخطايا التي لو عرفوها عنك لطردوك خارج الجمع أم أنت تتناساها ؟ أم تعتبرها مكدرات لا يجب أن تظهر أثناء نشوتك بمدح الآخرين ؟ إذن فأنت يهيك فقط خارج الكأس ، يهيك أن تكون كالقبور المبيضة من الخارج ومن الداخل ننته ؟! إذن فأنت تهيك الحياة الأرضية فقط ولا تأبه للحياة الآتية . صارع نفسك يا أخى المحبوب بحقيقة مشاعرك ، واعترف بهذا بينك وبين نفسك أولا ، ثم اسكب هذه الذات أمام أب اعترافك ، اسكبها فى بكاء وأنين وألم مر .

واليك ما يجب أن تشعر به عندما يمدحك الناس :

١ - أشعر أولا أنك ربما تكون مرائيا ، تظهر للناس غير ما تبطن .
قل لنفسك فى صراحة « اننى شخص خاطيء دنس ، وعندما أجلس الى أب اعترافى أكاد أنوب خجلا وعندما أحاسب نفسى على خطاياى تنسحق ندما وشعورا بالخسة والحقارة ، وتصغر ذاتى أمام عينى ، وعندما أقف للصلاة أشعر أننى غير مستحق أن أرفع نظرى الى فوق . . فلماذا إذن يمدحنى الناس .
ألعلنى مرائى؟ ألعلنى ذو وجهين؟ : أظهر أمام الناس بشخصية ، وحقىقتى شخصية أخرى ؟ هل أنا ممثل ؟ ربما أكون . . .

٢ - أشعر أن مدح الناس ربما يجعلك تستوفى أجرك على الأرض فلا تنال أجرا فى السماء ، وهكذا يضيع أكليك بثمن بخس .
ان مدحك الناس فخير لك أن تحزن . احزن على اكليك الذى يوشك أن يضيع . وهذا الحزن المقدس يصفى نفسك ويجعل روحك تنطلق بالأكثر .

٣ - عند مدح الناس لك أشعر أنك ربما تكون مختلسا : قد سلبت مجد الله ونسبته الى نفسك . لقد قال السيد المسيح :
« لكى يروا أعمالكم الحسنة ، فيمجدوا أباكم الذى فى السموات

(متى ٥ : ١٦) فان كان المجد قد رجع اليك أنت بدلا من الآب ،
فربما يكون هذا اختلاسا وأنت لا تدري ، أو وأنت تدري •
عندما تصلى وتقول : « لأن لك الملك والقوة والمجد » أنب
نفسك التي تريد أن يكون المجد لها فتتنافس الله فى قوته •
« ليس لنا يا رب ليس لنا ، ولكن لاسمك القدوس اعط
مجدا » (مز ١١٥ : ١) ••

٤ - عندما يمدحك الناس انكر ذاتك ، ووجه أنظارهم الى الله ،
فى غير رياء وفى غير تظاهر بالتواضع ، اذكر لهم أنك خاطيء
وضعيف ، وأن الله هو الذى فعل الأمر الذى يستحق المديح •
وكما توجه هذا الكلام الى الآخرين ، توجه به أيضا الى نفسك
واقتنع به حتى لا تعود فتنتفخ •

٥ - اذا وجدت البعض قد بدأ قصة أو حديثا أو خبرا سينتهى
بمدحك ، حاول أن تغير مجرى الحديث أو على الأقل لا تسر
بالمدح وانسبه الى الله عن اقتناع •

٦ - عندما يمدحك الناس تذكر هاتين الآيتين الجميلتين « مجدا
من الناس لست أقبل » (يو ٥ : ٤١) ، « مجدنى أنت أيها
الآب عند ذاتك •• » (يو ١٧ : ٥) احفظ هاتين ورددهما كثيرا
فى فكرك •

٧ - وعندما يمدحك الناس تذكر خطاياك ، واترك ضميرك يؤنبك
حتى يكون هناك توازن بين داخلك ، وبين مدح الناس من
الخارج •

وأخيرا ، ان كان هذا هو المطلوب منك عندما يسعى اليك مدح
الناس فبديهي جدا أنك لا تسعى بنفسك الى طلب هذا المديح
أو استجدائه مما سنرجع اليه فى المقال القادم ان شاء الرب وعشنا •
صل من أجلى •

ذاتك

ان لم تنطلق من ذاتك يا أخی
الحبيب من ذاتك هذه التي تعبدها من
دون الله ، والتي تكبرها وتفخمها
أمام الناس ، فلن تصل أبدا الى
سمو انطلاق الروح .

وإساءات

الناس

لعلك تحب أحيانا أن يمدحك الناس ، ولقد تفاهمنا في مقال
سابق عما يحسن بك فعله عندما يمدحك الآخرون . أما في جلستنا
الهادئة هذه ، فأود أن أسألك سوآلا :

ما هو شعورك وتصرفك عندما يسئ اليك الغير أو يظن بك
الظنون ؟

ربما تفكر في ذاتك أنك أهنت ، وربما تفكر في كرامتك وهيبتك
والاحترام الواجب لك : فتغضب وتثور ، وتتأثر لذاتك ، وتدافع
عن نفسك . لست أنكر عليك هذا ، فأنا انسان في الجسد مثلك
جريت هذه المشاعر جميعا ، أو جريت بهذه المشاعر جميعا ولكن
دعنا نناقش الأمر معا ..

ماذا يفيدك الغضب ؟ ... انه يعكر دمك . ويتلف أعصابك ،
وأخطر من ذلك كله أن الغضب يفقدك سلام القلب وراحته .
الم تسمع معلمنا يعقوب الرسول يقول : « ان غضب الانسان
لا يصنع بر الله » (يع ١ : ٢٠) ، وغضبك من أجل ذاتك هو لا شك

غضب انساني كالذى يقصده معلمنا يعقوب . تقول ان هذا الغضب
ينفس عنك ، ويفرج عن الثورة المكبوتة فى داخلك . ولكن لماذا
تختزن فى داخلك ثورة مكبوتة تحتاج الى تنفيس ؟ السبب فى ذلك
واضح طبعا ، هو أنك تفكر كثيرا فى ذاتك ! انطلق يا أخى الحبيب
من هذه الذات وأنت تستريح .

ان أهنت فلا تفكر فى ذاتك أنك أهنت . وانما فى ذلك الذى
أهانك ، انه أخوك . وأنت كشخص روحى ممتلىء بالمحبة ، عليك
أن تفكر فى هذا الأخ الذى أخطأ : ماذا تفعل لأجله . أنك لا تريد
طبعا أن تنحدر نفسه الغالية الى الجحيم ، ولا تريد أن تقف اهانتته
لك عقبة فى طريق خلاصه . لذلك فأنت تطلب الى الله ألا يقيم
له هذه الخطية ولا يعاقبه عليها ، ثم أنت أيضا تصلى من أجله
أن يخلصه الله من الخطية ذاتها فلا يعود الى اقترافها معك أو مع
غيرك .

وعندما تفكر فى أخيك هذا الذى أهانك ، قد تفكر فى السبب
الذى جعله يفعل ذلك : ربما يكون مريضا أعصابه متلفة ، أو متعبا
عقله مجهد ، أو قواه منهكة ، أو مرهقا بمشاكل اجتماعية
أو دراسية ، أو مالية فأنت تفكر فيما يمكن أن تفعله لأجله ،
وهكذا قد تخطر ببالك رحلة أو نزهة لطيفة تدبرها له ، أو قد تساهم
بجهد فى التخفيف أو الترفيه عنه . وان لم تستطع شيئا من هذا
كله فعلى الأقل ترثى له ، وتطلب له من الله معونة خاصة .

ان الناس يا أخى الحبيب لم يخلقوا أشرارا ، لأن الله بعدما
خلق الانسان « نظر الى كل ما فعله فاذا هو حسن جدا » وأما
الشرفانه يأتى الى الناس من الخارج دخيلا عليهم

وهذا الشخص الذى أهانك ، ربما تكون لاهانتته لك أسباب
أخرى . ربما يكون قد أساء فهمك . ومثل ذلك تفاهم معه وأقنعه
فى وداعة ومحبة .

ولكن هناك نوعا من الناس يهين الآخرين حبا في إهانتهم ،
مستغلا تسامحهم ليتخذهم مجالا للفكاهة والتندر . مثل هذا الصنف
أما أن يتبعد عنه ، وأما أن تكلمه بلهجة حاسمة حازمة مؤدبة
مظهرا له خطأه ، ومانعا إياه من تكراره . واتفعل هذا ليس
على سبيل الثأر للنفس ، أو الاحتفاظ بكرامة ذاتية ، وإنما حبا
في ذلك المخطيء حتى لا تترك له فرصة أخرى للخطأ ، ومجالا يسقط
فيه ويهلك بذلك نفسه

وشتان بين توبيخك لخطيء بغرض انتقامي ، توبيخا يجعله
يثور عليك ويحتك بك ، وبين تأنيب المحبة الحازم الهادي الذي
يشعر فيه الشخص أن مؤنبه يحبه

هذا كله عن موقفك من جهة الشخص الذي تشعر أنه أهانك ،
ولكن اسمح لي أن أدخل قليلا الى أعماق نفسك لأناقش شعورك
الباطن بينك وبين نفسك . . .

١ - لماذا تحسب الكلام الذي يقوله غيرك أنه إهانة ، أو أنه
شتمية ؟ لماذا لا تكون تلك التي تحسبها إهانة هي كلمة
صريحة لازمة لإصلاح نفسك ؟ وإن كنت قد تضايقت منها
فذلك لأنك تحب المديح ، وتريد أن يقول فيك جميع الناس
حسنا . افرح يا أخى بانتقاد الناس وتأنيبهم ، فإن ذلك
صالح لك ينقيك ويفيدك في حياتك الأخرى . إذا انتقدك
شخص فأولى بك أن تشكره فربما يكون صوته هو صوت
الله . أقصد أن الله المحب لك ربما يكون قد أرسل هذا الإنسان
ليرشدك ويظهر لك خطأك حتى تتركه .

٢ - ربما تكون تلك الإهانات تأديبا لك من الله على خطايا أخرى ،
اقتربتها في ماض قريب أو ماض بعيد . عندما سمع داود

النبي اهانة كهذه قال في انسحاق : « الله قال لهذا الانسان
اشتم داود » (٢ صم ١٦ : ١٠) . عندما يهينك غيرك
يا أخى الحبيب تذكر خطاياك الماضية ، واعرف أنك لست
بالشخص الخالص النقاوة الذى يسمو عن التوبيخ ...

٣ - فى بعض الأحيان يكون الله قد عمل عملا ناجحا عن طريقك ،
فاتخذت أنت هذا النجاح سلاحا تنتفخ به ، وتحارب نفسك
بالبر الذاتى ، وخشى الله عليك من السقوط عن طريق
الكبرياء فسمح أن تهان ، حتى يوجد توازنا بين مشاعرك ،
ويخفف شيئا من كبريائك . كثيرون من الذين يهانون
متكبرون ، أما الودعاء فيرفعهم الله من المذيلة ليجلسهم مع
رؤساء شعبه (مز ١١٢) ...

٤ - ربما تكون قد أعترت غيرك بتصرفك وأنت لا تدري ، وكان
هذا هو سبب اهانتك . لذلك يحسن أن تدرس وجهة نظر
من أهانك ، لعله على حق ...

٥ - قد تكون هذه الاهانة درسا لك فى المحبة والاحتمال . قال
لى أحد الآباء الروحيين عن راهب اعتزل ولم يختلط بالاخوة
فى المجمع « ان فترة الوجود فى المجمع لازمة للراهب . لأنه
ان لم يستطع أن يحتمل مشاكسات الاخوة فى المجمع ، فكيف
يستطيع أن يحتمل محاربات الشياطين فى الوحدة كما قال
مار اسحق !! » .

٦ - ماذا يضيرك عندما يحكم عليك انسان حكما ظالما . او عندما
يظن فيك أنك مخطيء ؟ العل هذا يعوقك عن ملكوت الله ،
أم أن الله سيعتمد احكام الناس ؟

٧ - أم انك تحب المديح والتطويب من بشر هم تراب مثلك ؟ سيدك
يا صديقي « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه (اش ٥٢ : ٧) ،
« أحصى مع أئمة ، أما هو فقبل هذا الصليب ... »

٨ - أخيرا يا اخى الحبيب ، اذا أهنت فتضايقت ، وكبرت عليك
الاهانة على الرغم من أنك خاطيء مثلي ، فتذكر كيف أننا نهين
الله فيصبر علينا ويحبنا ويقبلنا اليه ! ما أعظم الهنا الحنون ،
ليس له شبيه بين الآلهة ... »



انطلق

من

ذاتك

ان كنت ماتزال تهتم بفكرة الناس
عنك ، وتتخذ كافة السبل ليحسن
رأيهم فيك فمن الصعب أن تصل الى
سمو انطلاق الروح .

فى بعض الأحيان لا يمدحك الناس ، أو يكون مديحهم لك أقل
من مديحهم لغيرك . فبدلاً من أن تسر وتبتهج ، لأن شيطان المجد
الباطل نائم عنك ولو الى حين ، أراك تسعى الى اتعاب نفسك فتجلس
الى الناس تتسول مديحهم بطريقة لا تتفق مع كرامتك كابن لله ،
وهكذا تحدثهم عن نفسك . . .

فهل تسمح لى يا أخى الحبيب أن أناقش معك الأمر بنفس
ما اعتدناه قبلاً من صراحة ؟

١ - لماذا تحدث الغير عن نفسك ؟ أتريدهم أن يعجبوا بك ؟ اليك
اذن هذا السؤال الصريح :

هل أنت فى أعماق ذاتك معجب بنفسك ؟ لا شك أنك
فى حقيقتك متضايق من نقائص كثيرة محيطة بك ، لماذا تريد
اذن أن يمجدوا شخصية أنت نفسك غير مقتنع بتمجيدها ؟

٢ - لو اعتمدنا فرضاً مبدأ الحديث عن النفس ، فهل أنت تعطى
صورة صادقة حقيقية عن نفسك ؟ أم أنت تذكر للناس
النواحي البيضاء فقط ، وتترك النقاط البشعة الحقيرة التى
تنفرهم منك ؟ ألا تعرف يا صديقى أن أنصاف الحقائق ليست

كلها حقائق ؟ ألست ترى أذن أن في حديثك عن نفسك شيئاً من الخداع والكذب وتقديم وجه واحد من صورة لها عيوبها - تلك العيوب التي تعرفها أنت جيداً والتي يعرفها معك أبوك الروحي ؟

٢ - أنك تعرف بلا شك أن حديثك عن (فضائلك) يضيع عليك أجرک . ولست أشك أنك قرأت العظة على الجبل وسمعت فيها « لا تعرف شمالك ما تفعله يمينك » « فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية » . . . اننى مشفق عليك يا أخى الحبيب ، تجاهد طويلاً فى سبيل فضيلة معينة ، وفى لحظة طيش ، من لحظات البر الذاتى اللعين ، يأتى الشيطان ويسلب كل جهادك منك ، فاذا تعبك كله قد ضاع باطلاً . . كلما أراك تتحدث عن نفسك ، يخيل الى أنك شخص زرعت زرعاً ، فلما أنماه الله وأتى ثمره ، بدلاً من أن تحصده وتفرح به أشعلت فيه النار ، أو تركت الشيطان يحصده نيابة عنك ! يا صديقى العزيز ، كلما أحسست رغبة فى التحدث عن نفسك ، دع ذلك القول الالهى يرن فى أذنيك « الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم » (متى ٦ : ٢) .

٤ - هناك ضرر آخر من حديثك عن نفسك ربما توضحه لك الحادثة الآتية : كنت فى إحدى المناسبات أتكلم فى حماسة و إعجاب عن شخص مبارك أحبه وأقدره ، فقاطعنى أحد أساتذتى الروحيين قائلاً : « أرجوك ، لا تكمل هذا الكلام . » أنك بهذا الحديث تجمع الشياطين حوله لتحاربه . أتركه يعمل فى هدوء . انه ما يزال مبتدئاً وفى حاجة الى صلوات كثيرة . فسكت وقد شعرت فعلاً أنتى أخطأت فى حق هذا الانسان . الشياطين لا تطيق أن تسمع عن أعمال طيبة لانسان . ان اتخذك الله وسيلة لعمل مجيد ، فليكن ذلك سرا بينك وبين الله . لا تتحدث عن هذا العمل لئلا تتعرض

لحسد الشياطين وقتالهم • ولا يضيع أجرك فحسب • وإنما
قد تتعرض لحرب قاسية لا تعرف نتائجها •

٥ - رأيت اذن بعضا من الضرر الذى يحيق بمن يتحدث عن
نفسه ؟ أتستطيع أن تدلنى - فى مقابل ذلك - عن فائدة
واحدة تجنيها من مديحك لذاتك ؟ لست أقصد تلك النزوة
الحسية الخاطئة التى يشعر بها كل من يلمح نظرات الاعجاب
موجهة اليه ، فهذه فى حد ذاتها خطيئة تحتاج الى علاج !!
هناك فائدة حقيقية أعرضها عليك : ان ألح عليك الحديث
عن نفسك الحاحا لم تستطع له مقاومة ، فحدث الناس
عن ضعفك وعجزك ، حدثهم عن نفسك الساقطة التى لولا
معونة الله لأشبهت أهل سدوم ، واطلب اليهم بالاحاح
أن يصلوا من أجلك حتى يفتقدك الله برحمته •

٦ - كلمة صريحة أخرى • ترددت طويلا قبل أن أهمس بها
فى أذنك ، وهى أنه حتى الناس أنفسهم يشتمون أحيانا
ممن يتحدث كثيرا عن نفسه • انهم يسمونه أحيانا (المنتفخ)
أو (المغرور) • وهكذا لا يكسب مثل هذا المادح لذاته سماءا
ولا أرضا •

٧ - أخيرا فان تلك الأعمال التى تصاريك بالبر الذاتى ليست
كلها من صنعك : هناك الظروف المحيطة ، والدور الذى قام
به الآخرون ، والامكانيات التى منحت لك من فوق • انها
تكون مبالغه بلا شك أن تنسب كل هذا الى نفسك فقط
ناسيا عمل الله فيك •

أترانى ضايقتك بصراحتى يا أخى الحبيب ؟ سامح ضعفى
مصليا من أجلى •

ومرة أخرى يا أخى الحبيب ،
أريد أن أحدثك عن ذاتك ، ذاتك التى
تحبها وتثق بها أكثر من الله
أحيانا . ان لم تنكر هذه الذات
فهيئات أن تتمتع بجمال انطلاق
الروح .

ذاتك أمام الله

ان كانت المحبة هى الوصية الأولى فى المسيحية ، فان انكار
الذات هو الطريق الأول الى المحبة . انك لا تستطيع مطلقا أن تحب
الله والناس ، طالما أنت تهتم بذاتك ولذاتك . لذلك عليك أن تنطلق
أولا من هذه الذات ، فقد قال السيد له المجد : من أراد أن يتبعنى
فليترك ذاته ويحمل صليبه ويتبعنى (مر ٨ : ٢٨) . وهكذا
جعل انكار الذات أول كل شيء .

ليكن هدفك اذن يا أخى الحبيب هو اخفاء ذاتك فى الله ، بحيث
لا يكون لك وجود مستقل عنه ، ولتقل كما قال معلمنا بولس
الرسول : « لكى أحيأ لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) .

ان أردت أن يكون لك مجد ، فليكن مجدك من الله وعند الله .
كرر هذه الآية دائما : « مجدنى أنت أيها الأب عند ذاتك »
(يو ١٧ : ٥) . لا تبحث عن مجدك فى العالميات « فالعالم يبيد
وشهوته معه » أما أنت فابن الله ، وأما أنت « فهيكل الله وروح الله
حال فيك » ، لست من دم ولا مشيئة جسد ولا مشيئة رجل بل من الله

ولدت » ، روحك نفخة من الله ، نسمة من فيه ٠٠٠ وأنت في كل قداس تتناول جسد الله ودمه ، والله يريدك أن تتحد به ، تثبت فيه ، فلماذا إذن تترك هذا المجد العظيم كله ، وتبحث عن مجدك في التراب ؟

لماذا يهتك رأى الناس فيك ، ففسر بمدحهم • وتدافع عن نفسك ان هاجموك ، وتتسول رضاهم بحديثك عن نفسك ؟ أما زلت يا أخى تحب التراب ومجد التراب ؟ أما زالت نفسك تمثالا تقدم له الذبائح والقرايين - أنكر ذاتك ، وركز محبتك كلها في الله وحده • قل كما قال يوحنا المعمدان « ينبغي أن ذاك يزيد وانى أنا أنقص » (يو ٣ : ٣٠) • أتتهامس في تدمير وتقول « لا أريد أن أنقص » • اعلم إذن أنك سوف لا تنقص الا الشوائب التى تعكر نقاوة عنصرك ، سوف لا تنقص الا المجد العالى ، ذلك التراب الذى علق بك ، والذى ينبغي أن تنفضه لترجع نظيفا كما خلقك الله وكما يريدك دائما أن تكون •

هذا من جهة علاقتك بالناس ، ولكنى أريد أن أخاطبك أيضا من جهة نظرتك الى نفسك وموقفك أمام الله • ان أردت لروحك أن تنطلق فقف أمام الله كلا شيء ، انكر علمك وحكمتك ، انكر ذكاءك وخبرتك ، وقف أمام الله كجاهل لا تعرف شيئا • لست أقصد أن تدعى الجهل أو تتظاهر به ، فالله لا ينخدع ولا يحب المدعين ، انما اعتقد يقينا - فى تصريف كل أمر - أن ذاتك ينبغي أن تختفى ليظهر المسيح ، ليس أمام الناس فحسب ، وانما أمام نفسك أيضا • قل له يا رب انى أحكم حسب الظاهر ، وقل له يا ربى انى ضعيف لا أستطيع مقاومة الشياطين • قل له أيضا ان النتائج فى يده ، واطلب منه أن يتدخل فيرشدك ، أو يسكن فيك ويعمل بك • وعندما يتم الأمر اشكر الله لأنه هو الذى عمل وليس أنت • وعندما يأتى الناس ليمدحوك على فعلك ، لا تفتخر ولا تتظاهر بالتواضع ، انما اتخذها فرصة أن تجلس معهم وترنم

ذلك المزمور الخالد « لولا أن الرب كان معنا ، فليقل إسرائيل لولا أن الرب كان معنا ، حين قام الناس علينا ، لا بتلعونا ونحن أحياء ٠٠٠ اذن لغرقنا في الماء وجازت نفوسنا السيل » (مز ١٢٣)

وعندما تعرض لك خطية ، لا تثق بقوة روحك ، ولا بماضيك في الانتصار « فقد طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) انما اعتقد أن النصر من عند الله ، وان تخلى عنك في أبسط الخطايا فسوف تشبه أهل سدوم ٠ انما رتل ذلك المزمور الجميل ٠ « ٠٠٠ وأنت عرفت سبيلي ٠٠٠ في الطريق التي أسلك اخفوا لى فحاً ٠ نظرت الى اليمين وأبصرت وليس من يعرفنى ٠ ضاع المهزب منى وليس من يسأل عن نفسى ٠ فصرخت اليك يا رب وقلت أنت هو ملجأى ورجائى فى أرض الأحياء ٠٠٠ نجنى من مضطهدى لأنهم قد اعتزوا أكثر منى » (مز ١٤١) ٠

يا أخى الحبيب ٠ انك لست شيئاً ، فاعترف بهذا أمام الله وأمام نفسك ، وكلما فكرت أنك تستطيع عمل شيء ، ارجع الى ذاتك مرة أخرى ، وقل : من أنا يا رب حتى أقف أمام فرعون واخرج بنى إسرائيل من مصر ! (خر ٣ : ١١) فان أقنعك الله بأنه سيكون لك فما ، وأنه سيتكلم على لسانك ، وأنت سوف لا تكون الا أداة ، حينئذ استمر فى حياتك ٠ ان سرت فى وادى ظل الموت فسوف لا تخاف شراً ، وان قام عليك جيش ففى ذلك ستكون مطمئناً ٠ حينئذ أنكرنى أنا التراب النجس ، لكى نتقابل معا ، هناك ٠٠٠

إِنطَلِقْ

من

هل تعرف من أى شيء يجب أن
تهرب ؟ اهرب من الاغراض ، من
الآمال ، من الرغبات اهرب من كل
أولئك ، ان كنت تود حقا أن تصل
الى انطلاق الروح .

رغباتك الأرضية

اسمح لى يا اخى الحبيب أن أدخل قليلا الى قلبك ، وأتحدث
اليك فى صراحة . ان لك آمالا عريضة تشغلك كثيرا ، وتحتمل
جانبا من قلبك بل هى تحتل خيالك أيضا فتجلس فى وحدتك وتحلم
بها أحلام اليقظة ، تأوى الى فراشك فترى هذه الآمال فى نومك .
لك أهداف أنت أدرى الناس بها ، ولست مستطيعا أن تنكرها . انك
تود أن تكون شيئا هاما ، تود أن يعرفك الناس ، ويجلوك . لك
آمال فى الشهرة والصيت ، ولك آمال فى السيطرة والنفوذ ، ولك
رغبات فى المال ، وفى المركز الاجتماعى ، وفى العلم ، وفى الألقاب ،
وفى المستقبل ، وفى المظاهر والسمعة . ولك رغبات فى المسكن
والمأكل والملبس ، ولذات الجسد المنوعة . انك لا تعيش فى العالم
بل العالم هو الذى يعيش فيك ، ويستولى على قلبك وفكرك وخيالك
ومشيئتك أيضا . أما روحك التى تعيش حبيسة فى هذا كله فانها
تود الانطلاق من رغبات جسديك ، الجسد الذى « يشتهى ضد
الروح » .

انك يا أخى الحبيب تشقى بهذه الآمال والأغراض ، فهى
لا تتحقق جميعها ، ولذلك فأنت غير راض . انك تشتاق وتشقى
فى اشتياقك ولذلك فأنت تعد العدة ، وتلتمس الوسائل : تفكر ،

وتقابل ، وتكتب ، وتسير وتذهب ، وتسعى وتتعب فى سعيك .
ثم أنت تجلس وتنتظر ، وقد يضيق صدرك ، وتمل الصبر والترجى ،
ويدرك اليأس أو القلق أو خوف الفشل ، فتشقى بانتظارك .
وقد ينتهى السعى والتعب الى لا شىء وتحرم من رغبتك التى
تودها فتشقى بالحرمان . وأخطر من هذا كله ، فان آمالك
وأغراضك قد تجنح بك عن طريق الصواب فتتعلم بسببها الخداع ،
أو اللف والدوران ، أو التزلف والتملق ، أو الكذب ، أو ما هو
أبشع من هذا . . . وكما قال أحد الحكماء « لا بد أن ينحدر المرء
يوما للنفاق ، ان كان فى نفسه شىء يود أن يخفيه » .

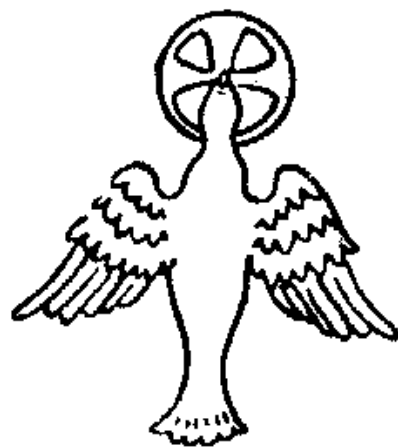
انك متعب ، وأنا أعرف هذا وأشفق عليك فى تعبك . فالى
متى تعيش فى جحيم الآمال ! والعجيب فى رغباتك الترايبية هذه ،
أنها تشقيك أيضا حتى اذا تحققت . فرغبتك عندما تتحقق تتلذذ
بها ، وتقودك اللذة الى طلب المزيد . وهكذا كما قال السيد المسيح :
« من يشرب من هذا الماء يعطش » (يو ٤ : ١٣) . وعندما يعطش
سيسعى الى الماء مرة أخرى ليشرب ، وكلما يشرب يزداد عطشا ،
وكلما يزداد عطشا ، يزداد اشتياقا الى هذا الماء .

لذلك يا أخى الحبيب أود أن أناقش معك الأمر فى هدوء .
لماذا تتمسك برغبات معينة فى العالم ، والعالم يبيد وشهوته
معه . انك غريب مثلى على الأرض ، وستأتى ساعة تترك فيها هذا
العالم وتترك فيه كل ما أخذته منه . عريانا خرجت من بطن أمك
وعريانا تعود الى هناك . ستترك رغما عنك كل ما فى العالم من
عظمة ومال وشهرة وتتوسد حفرة كأحقر الناس ، ومهما بلغت فى
العالم من سطوة أو متعة أو شهرة ، فان هذا سوف لا يمنع جسدك
الفانى من التعفن ، وسوف لا يمنع الدود من أن يرعى فى جثتك
حتى يأتى عليها . وستقف بعد هذا كله أمام الله مجردا من مظاهر
العالم المنوعة ، لم تأخذ من الدنيا غير أعمالك ، خيرا كانت أم شرا .
فحرام عليك يا أخى الحبيب أن تركز أغراضك وآمالك فى هذه

الأرض ، الأرض التي تنبت لك شوكا وحسكا ، والأرض التي قبلت
دماء هابيل البار ، والأرض التي يحفرون فيها آبارا مشققة
لا تضبط ماء • (أر ٢ : ١٣) •

ان الآباء القديسين الذين عاشوا قبلنا على الأرض ، ولم تكن
الأرض مستحقة أن يدوسوها بأقدامهم ، هؤلاء جميعا لم يصلوا
الى ما وصلوا اليه من قداسة ، الا بعد أن فرغوا قلوبهم من حب
العالم والأشياء التي فى العالم ، فلم تعد لهم على الأرض رغبة
أو شهوة ، ولم يحتفظوا فيها بقنية أو ملك • لم يتمسكوا بشيء فى
العالم لذلك سهل عليهم أن يتركوه ، بل اشتاقوا الى ذلك اشتياقا •

أما أنت يا أخى الحبيب فكك رغبات أرضية ، « وحيثما يكون
كنزك يكون قلبك أيضا » • لذلك تعلق قلبك بالتراب ومجد
التراب ، فقلت قيمة الروحيات فى نظرك • انها التجربة التي حاول
بها الشيطان اغراء رب المجد « أخذه الى جبل عال جدا وأراه جميع
ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها أن خررت
وسجدت لى » • وان ملكت هذه جميعها ماذا تستفيد ان خسرت
روحك ، روحك الحبيسة فى قفص مذهب من الرغبات ، وتود أن
تنطلق •



إنطلق

من

انك تؤمن بحواسك الخمس أيمانا
شديدا ولا تصدق روحك ان تعارضت
مع هذه الحواس فمتى تنجو من
سلطان حواسك وتدرك انطلق
الروح .

سلطان

الحواس

انك تصدق الشيء الذي تراه بعينيك . أو تسمعه بأذنيك ،
أو تلمسه بيديك . . . أما غير هذا فقد يعتريك فيه الشك ،
فلماذا !! السبب بسيط ، وهو أنك ما تزال عائشا بالجسد ،
تؤمن بالجسد وحواسه .

انك تنظر هنا وهناك ، فترى أنه ليس من أحد ، ليس من
مشاهد ولا من رقيب . فترتكب الخطأ الذي تتحاشى ارتكابه أمام
الناظرين ، فهل تصدق حقا أنه لم يرك أحد . ! لقد كان هناك
عينان تنظران اليك في اشفاق ، وفي تأنيب . . . ولكنك لم تبصر
هاتين العينين لأنك كنت تعيش في الجسد . . . كان الله يراقبك
وأنت لا تراه ولو كنت تعيش بالروح منطلقا من هذه الحواس
القاصرة لا استطعت أن تقول ما قاله ايليا : « حى هو رب الجنود
الذى أنا واقف أمامه » (امل ١٨ : ١٥) .

تحيط بك المخاطر فتلتفت عن يمين وعن يسار ، واذ ترى
نفسك وحيدا تخاف وترتعب . ان الله واقف عن يمينك لكي
لا تتزعزع ، ولكنك لا تراه . عيناك قاهرتان لا تبصران كل شيء .

انهما عينان ماديتان لا تدركان الروحيات • ليتك يا أخى الحبيب تطلق روحك من سلطان هذه الحاسة الجسدية ، روحك التي تفحص كل شيء حتى أعماق الله (اكو ٢ : ١٠) ، ليت روحك تنطلق لترى الله عن يمينك وتهمس في أذنه فرحا « ان سرت في وادى ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي » (مز ٢٣) • كان جيحزى المسكين خائفا جدا وهو يرى بعينه الأعداء يقتربون وليس من منقذ • أما اليشع العائش بالروح فكان مطمئنا • كان يرى بالروح ما لا تراه العين ، ويسمع ما لا تسمعه الأذن • واذ أشقق على الغلام ، طلب من الله أن يفتح عينيه ليرى ••• ونظر جيحزى فاذا الجبل زاخر بجنود الله ومركباته فاطمأن (٢ مل ٦ : ١٧) •

لا تعتمد على حواسك فهي ضعيفة لا تدرك ما تدركه الروح • كانت أرملة صرفة صيدا تنظر الى الكوار فترى فيه حفنة واحدة من الدقيق ، والى الكوز فترى فيه قليلا من الزيت ، وترى أن هذا الدقيق وهذا الزيت لا يكفيان الا لصنع كعكة واحدة تأكلها مع ابنها ثم يموتان من الجوع • أما ايليا ، رجل الله ، فكان يرى بالروح غير ما تراه العيون الجسدية : كان يرى كوز الزيت لا ينقص مهما أخذت منه الأرملة وكذلك كوار الدقيق ••• وقد كان • (امل ١٧ : ١٤) •

كان اليشع واقفا على شاطئ الأردن • عينه الجسدية ترى الأردن نهرا ، وترى السير فيه يؤدي حتما الى الغرق • أما روح اليشع فكانت منطلقة من هذه العين القاصرة • كان نهر الأردن والشاطئ بالنسبة اليها سواء • كلاهما أرض صالحة للسير • أخذ اليشع رداء ايليا الذي سقط عنه عندما استقل المركبة النارية ، وضرب الماء بهذا الرداء فانطلق الماء وعبر اليشع (٢ مل ٢ : ١٤) • ان العين العادية ترى ثوب ايليا ثوبا ، أما اليشع فكان يراه بالروح قوى عجيبة يستخدمها الله •• ولم يكن في نظره ثوبا كباقي الثياب :

ان عينك قاصرة يا صديقى حتى فى الماديات • هناك أجسام لا تراها ، ومع ذلك فهى موجودة تتحدى بصرك الضعيف ، وربما تستطيع أن ترى هذه الأجسام الصغيرة باستعمال المجهر •

فاذا لم يكن هناك مجهر ، ولم تر عينك المجردة تلك الأشياء الدقيقة ، أتستطيع أن تنكر وجودها لأنك لا تراها • ! فان كان هذا فى الماديات ، فماذا تقول عن الروحانيات •

فى الأمور الروحية أترك فرصة للروح لكى تقودك ، ولا ترغمها على الخضوع للجسد ، أتركها على سجيبتها تنطلق وتسبح فى عالم الالهيات « وطوبى لمن آمن دون أن يرى » (يو ٢٠ : ٢٩) •

لا بد أنك سمعت عن الرؤى يا أخى الحبيب ، حينما تسبح الروح فى عالم الملائكة والقديسين وترى ما لا يراه الجسدانيون ، هنا ترى الروح منطلقة من سلطان الجسد ، تستخدم أعضائه فى أغراضها الروحية ، فتخضع الحواس للروح ، وليس الروح للحواس •

قال لى شخص انه سمع بظهور مارجرجس فى احدى الكنائس ، فرفض أن يصدق ، وذهب بنفسه الى هناك ليتأكد بعينه من فساد تلك (الخرافات) فعلا ذهب ولم ير شيئا •

لسبت أريد أن أعلق على هذه القصة بشئ ، ولكنى أعرض رأيا وهو أن هذا الشخص وأمثاله قد لا يرون الرؤى لضعف ايمانهم بها ، لأنهم يريدون اخضاع الروحيات لحواس الجسد ، بينما يكشف الله للبسطاء عن أسرار ملكوته •

لست أريد شيئاً من العالم

هذا هو أول شيء يجب أن يقوله
الانسان الذي يجب أن يصل الى
انطلاق الروح :

لست أريد شيئاً من العالم ، فليس فى العالم شيء أشتهيهِ ،
انها تجارب تحارب المبتدئين •

لست أريد شيئاً من العالم ، لأن العالم أفقر من أن يعطينى
لو كان الذى أريده فى العالم ، لا نقلبت هذه الأرض سماءاً ،
ولكنها ما تزال أرضاً كما أرى ، ليس فى العالم الا المادة والماديات،
وأنا أبحث عن السماويات ، عن الروح ، عن الله •

لست أريد شيئاً من العالم ، فأنا لست من العالم ، لست
ترابياً كما يظنون ، بل أنا نفخة ألوية ، كنت عند الله منذ البدء ،
ثم وضعتنى الله فى التراب ، وسأترك هذا التراب بعد حين وأرجع
الى الله • لست أريد من هذا التراب شيئاً ، من عند الآب خرجت
وأتييت الى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأرجع الى الآب •

لست أريد شيئاً من العالم ، لأن كل ما أريده هو التخلص من
العالم • أريد أن أنطلق منه ، من الجسد ، من التراب ! وأرجع -
كما كنت - الى الله ، نفخة « قدمية » لم تتدنس من العالم بشيء •

لست أريد شيئًا من العالم ، لأنى أبحث عن الباقيات الخالدات ،
وليس فى العالم شيء يبقى الى الأبد ، كل ما فيه الى فناء ، والعالم
نفسه سيفنى ويبيد • وأنا لست أبحث عن فناء •

لست أريد شيئًا من العالم ، لأن هناك من أطلب منه • هناك
الغنى القوى الذى وجدت فيه كفايتى ولم يعوزنى شيء • انه
يعطينى قبل أن أطلب منه ، يعطينى النافع الصالح لى • ومنذ
وضعت نفسى فى يده لم أعد أطلب من العالم شيئًا •••

لست أريد شيئًا من العالم ، لأن العالم لا يعطينى لفائدتى ،
وانما يعطى ليستعبد • والذين أخذوا من العالم صاروا عبيدا له ،
يعطيهم لذة الجسد ، ويأخذ منهم طهارة الروح • يعطيهم متعة
الدنيا ، ويأخذ منهم بركة الملكوت • يعطيهم ممالك الأرض كلها
ليخروا ويسجدوا له • يعطيهم كل ما عنده لكى يخسروا نفوسهم •
أما أنا فقد خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح
(فى ٣ : ٨) • وهذا العالم الذى يأخذ أكثر وأفضل مما يعطى ،
هذا العالم الذى يستعبد مريديه ، لست أريد منه شيئًا ••

لست أريد شيئًا من العالم لأننى أرقى من العالم • اننى ابن
الله ، صورته ومثاله • اننى هيكل للروح القدس ومنزل لله •
اننى الكائن الوحيد الذى يتناول جسد الله ودمه • اننى أرقى من
العالم ، وأجدر بالعالم أن يطلب منى فأعطيه ، أنا الذى أعطيت
مفاتيح السماوات والأرض • أنا الذى شاء الله فى محبته وتواضعه
أن يجعلنى نورا للعالم وملحا للأرض (متى ٥) •

لست أريد شيئاً من العالم لأننى أريد أن أحيأ كأبائى ، الذين
لم تكن الأرض مستحقة أن يدوسوها بأقدامهم • هكذا عاشوا ،
لم يأخذوا من العالم شيئاً بل على العكس كانوا بركة للعالم • من
أجل صلواتهم أنزل الله الماء على الأرض ، ومن أجلهم أبقى الله
على العالم حياة حتى اليوم ...

لست أريد شيئاً من العالم لأن الخطية قد دخلت الى العالم
فأفسدته • فى البدء نظر الله الى كل شيء فرأى أنه حسن جداً ،
اذ لم تكن الخطية دخلته بعد ، حتى التنين العظيم فى البحر باركه
الرب ليثمر ويكثر ، أما الآن وقد تشوهت الصورة البديعة التى
رسمها الله فى الكون فقد مجت نفسى العالم ، ولم أعد أشتهى فيه
شيئاً ، هذا العالم الذى أحب الظلمة أكثر من النور •

لست أريد شيئاً من العالم ، لأننى أريدك أنت وحدك ، أنت
الذى أحببتنى حتى المنتهى ، وبذلت ذاتك عنى • أنت الذى كونتنى
اذ لم أكن ، ولم تكن محتاجاً الى عبوديتى بل أنا المحتاج الى ربوبيتك •
أريد أن أنطلق من العالم وأتحد بك ، أنت الذى أعطيتنى علم
معرفتك •



من الناس من هم جهلة لم يتعلموا
على الاطلاق ، ومنهم من قد علمهم
الناس وهؤلاء أشد جهالة ، أما
المتعلمون الحقيقيون فهم الذين
تعلموا من الله مباشرة .

التعلم من الله

لقد خلق الله الانسان على جانب وافر من المعرفة . وعندما
كان الانسان يحتاج الى مزيد من العلم ، كان الله يعلمه بنفسه ، ولو
استمر الانسان هكذا لصار عالما ، ولا استطاع أن يأكل من شجرة
الحياة ويحيا الى الأبد ، ولكن الانسان قبل لنفسه أن يتلقى العلم
على غير الله فبدأت جهالته ، وهكذا أخذ أول درس له عن الحية
وأكل من (شجرة المعرفة) فصار جاهلا . . وما زال الانسان يسعى
الى المعرفة بعيدا عن الله ، فيزداد جهالة على جهالته .

ان الانسان هيكل الله ، وروح الله ساكن فيه ، هذا الروح
الذي قال عنه السيد المسيح : « يرشدكم الى جميع الحق »
(يو ١٦ : ١٣) . والذي قال عنه القديس بولس الرسول انه :
« يفحص كل شيء حتى أعماق الله » (١ كو ٢ : ١٠) . ولكن
الانسان من فرط شقاوته وجهله ، كلما يبحث عن المعرفة ، لا يطلب
أخذها من داخله ، من روح الله الساكن فيه ، وانما يفتش عنها في
الخارج عند الناس ، وفي الكتب التي يظن أن له فيها حياة . . . !

وهكذا كثر العلماء وحكماء هذا الدهر ، وكانت حكمة هذا العالم جهالة عند الله ، ولقد سار أوغسطينوس العظيم في هذا الطريق فترة طويلة ، يبحث عن الله خارجا عن نفسه فلا يجده ، ثم وجده أخيرا فناجاه بتلك الأنشودة الخالدة :

« قد تأخرت كثيرا في حبك أيها الجمال الفائق في القدم والدائم جديدا الى الأبد » .

« كنت في فكيف ذهبت أبحث عنك خارجا عنى ... »

« أنت كنت معي ، ولكني لشقاوتي لم أكن معك ... »

ولما بحث أوغسطينوس عن الله في داخله ، وجده وصار قديسا ...

وهكذا أنت يا أخي الحبيب ستضل كثيرا في بحثك عن الله ، ان بحثت عنه في الخارج . اجلس الى نفسك وفكر وتأمل ، وادخل الى أعماق أعماقك ، واطلب الله ، فستجده هناك ، وستراه وجها لوجه ، وتحسه كنبيع دافق فياض من المحبة ، فتعيش في فترة من الدهش العجيب وتصرخ في فرحة صامتة « لقد رأيت الله » .

هذه هي الطريقة التي لجأ اليها آباؤنا القديسون ، خرجوا من زحمة الحياة ، ومن اضطراب العالم وصخبه ، وتركوا كل شيء ، وبحثوا عن الله في داخل نفوسهم ، وهكذا بالهديز والتأمل استطاعوا أن يروا الله ، وفي نفس الوقت كان المفكرون والفلاسفة والباحثون والعلماء يفتشون عن الله في الكتب وعند الناس ، فلا يصلون الا الى جهالة وغموض وتعيب ... أقول هذا وأنا متألم ، لأنني أرى أيضا كثيرا من الآباء الذين ذهبوا الى القفر ، قد أخذوا هم أيضا يفتشون

عن الله فى الكتب أو فى المشروعات أو فى الخدمة ، بينما الله فى قلوبهم من الداخل ، يريدون أن يفرغوا من هذه المشغوليات كلها ويجلسوا إليه فيحدثهم عن أسرار لا يعرفها أحد ، ويريهن ما لم تراه عين .

ليس هذا بالنسبة الى الرهبان فحسب ، وإنما الى الجميع .
أندري يا أخى الحبيب ما هى الطريقة الصالحة للتربية الروحية ؟
إنها ليست فى إعطاء الإنسان شيئاً جديداً ، فهو يملك كل شئ .
والروح الحال فيه يعرف أكثر مما تريد أنت أن تعلمه
الوسيلة الصالحة للتربية الروحية هى فى تخليص الإنسان مما يملك من معلومات خاطئة ، من معرفة أخذها من العالم أو من الناس .

إن الطفل يولد وفى قلبه وفى فكره وفى خياله فكرة واسعة جميلة عن الله ، ثم يتولاه المجتمع المسكين بالتعليم ، فيقدم له أفكاراً عن الله غير أفكاره ، ويقدم له صوراً عن الله وعن القديسين تحد من خيال الطفل الواسع وهكذا تتبدل فكرة الطفل عن الله وعن القداسة بمصطلحات عرفية عن الخير والشر ، كما يراها الناس ، ويأكل الطفل من شجرة معرفة الخير والشر ، التى أكل منها آدم وحواء .
ويصير مثلها جاهلاً ، ويأتى دور المرشدين الروحيين الحقيقيين ، لا لكى يزيدوا على الطفل علماً ، وإنما لينزعوا منه المعرفة الباطلة التى أخذها من العرف والتقاليد وتفسيرات الناس للدين .
وعندما تنطلق روحه من هذا كله يعرف الله على حقيقته ، لأن الله ليس غريباً عنه ، بل هو ساكن فيه .

انطلق

من

حرب التعليم

حب التعليم خطر كبير ابتعد
عنه يا أخى الحبيب حيثما وجد
واهرب منه على قدر ما تستطيع .

انك تريد أن تعلم الناس ، ولكن أى شيء تريد أن تعلمهم ؟

ألسنت معى يا أخى العزيز فى أننا لم ننضج بعد ، ولم نتعلم
بعد ؟ هناك أشياء نفهمها من وجهة نظر واحدة فنسئ فهمها .
وعندما ندفع بأنفسنا لتعليم الناس ، لا نعلمهم الدين كما هو ،
وانما كما نفهمه نحن ، وفى سن معينة ، ودرجة روحية وعقلية
معينة . وقد تكبر فى السن والروح والعقل ، ونفهم الدين فهما
آخر غير فهمنا له اليوم ، فماذا يكون من أمر الناس الذين علمناهم
قبلا ؟!

لذلك ولغيره يقول القديس يعقوب الرسول فى رسالته
« لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى . عالمين أننا نأخذ دينونة
أعظم ، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعا » (يع ٣ : ١ و ٢) .
وهكذا نسمع أرميا يقول لله « لا أعرف أن أتكلم ، لأنى
ولد » (أر ١ : ٦) . ويقول اشعيا النبى عن نفسه انه « انسان
نجس الشفتين » (اش ٦ : ٥) . ونجد القديس باخوميوس
يأتون اليه يطلبون كلمة تليق ، فلا يتحدث ، ولكن يدفع اليهم
بتلميذه تادرس فيتحدث روح الله على لسان هذا التلميذ القديس . .

وأحد الآباء وهو شيخ ، يأتي إليه أخ ليأخذ تعليماً فيقول له : « أمكث في قلايتك وهي تعلمك كل شيء » فيرجع الأخ منتفعاً . . . قصص كثيرة ، اقرأها يا أخي بنفسك ، وانظر أي درس يعطيك الله عن طريقها . ولي ملاحظة قبل أن أترك هذه النقطة وهي ان تعاليم كثيرة للآباء القديسين وصلت إلينا عن أحد طريقين : اما أن الأب الشيخ كان في أثناء حديثه مع الأخوة ، يتناول راهب ورقة ويدون ما يقوله الشيخ ، واما أن الأب كان يسجل تأملات له لمنفعته ، فيجدونها في قلايته بعد نياحته وينتفعون بها .

هناك يا أخي الحبيب فرق شاسع جداً بين التعليم وحب التعليم : التعليم دعا إليه الكتاب المقدس ، وعهد به إلى أشخاص معينين ، أما حب التعليم ففيه خطر كبير ، في أحيان كثيرة يكون شيطاناً متنكراً . . . مع حب التعليم يأتي في كثير من الأحيان احساس خفي أو ظاهر بالجدارة الشخصية ، وبالامتياز عن الآخرين ، وكلما يتسع عند الشخص نطاق التعليم كلما يكبر عنده هذا الاحساس ، حتى ليدخل إلى الكنيسة أحياناً لا لينتفع ، بل لينقد ويقيم من نفسه معلماً للمعلمين . انه لا يأخذ أبداً ، وإنما يعطى باستمرار ، ومثل هذا الشخص الذي لا يأخذ يأتي عليه وقت يجف فيه ، ولا يعد لديه شيء ليعطيه . . .

أما الآباء فكانوا على عكس هذا تماماً . كانوا يتعلمون باستمرار ويأخذون نفعاً من كل شيء . كان القديس انطونيوس العظيم يأخذ تعليماً من امرأة « لا تستحي أن تخلع ثيابها لتستحم ، أمام راهب » . والقديس مكاريوس أب برية شيهيت كلها يأخذ تعليماً من صبي صغير . وارسانيوس الذي درس حكمة اليونان والرومان يتعلم من مصرى أمى « هؤلاء الآباء كانت أرواحهم تطوف كالنحلة النشيطة فتجنى من كل زهرة شهدا !

هناك خطورة أخرى في حب التعليم ، ذكرني بها انسان غيور ، شغله التعليم عن نفسه : كان يقرأ في الكتاب المقدس لا لينتفع ،

وانما ليحضر درسا • ويحسن الى الفقراء لا لأنه يحبهم وانما ليكون
 قدوة للناس • ويحترس في تصرفاته لا لأنه يؤمن بما يفعله ، وانما
 لكي لا يعثر الآخريين • ويجلس الى الناس لا ليقتبس من أرواحهم
 شيئاً وانما ليمتحن حديثهم « كأستاذ » ثم يلقي بحكمة شارحا
 الأوضاع السليمة • بل قال مرة انه كان يقف للصلاة فاذا ما افتقده
 روح الله ، وشعر في الصلاة بشيء ، أو سبحت تأملاته في شيء ،
 يقطع صلاته ويجلس ليسجل هذه الاختبارات ليعلم بها الناس !
 لقد انقلبت وسائط النعمة عند هذا الانسان ، وأصبح التعليم
 عنده هو كل شيء •

همسة أخرى أريد أن أهمسها في أذنك الحبيبة الى قلبي وهي
 « أي شيء ستعلمه للناس ؟ أهو الدين ؟ هل تظن الدين مجرد
 معلومات يملأ بها الانسان عقله ؟ أخشى ما أخشاه يا صديقي المجاهد
 أن طريقة بعض الناس ستحول الدين الى علم يدرسونه ويمتحنون
 فيه كسائر العلوم ، وما الدين الا روح وحياة كما تعرف •

قال لي « ولكني معلم في الكنيسة فماذا أعمل ؟ » • قلت له
 « حية هي روحك يا أخي الحبيب • انك لا تعلم تلك النفوس وانما
 تحبها • وهذه الأرواح التي تراها منطلقة حواليك ، لم تطلقها
 التعاليم وانما المحبة ، المحبة التي « لا تسقط أبدا » لأنها الله ••



الفلاحة

كثيرون يدعون أنهم أغنياء ،
يملكون من قنية العالم أشياء كثيرة .
أما أنت يا أخى الحبيب فقد تخلصت
من الشعور بالامتلاك منذ أيقنت أن
الملكية تقيد روحك .

من

الشعور بالامتلاك

لقد جئت الى العالم بلا شك فقيرا مثلى ، لا تملك فيه شيئا
عريانا خرجت من بطن أمك ، لا تملك الأقمطة التى قمطوك بها ،
ولا الفراش التى أضجعوك عليها ، وكل ما (امتلكته) فى العالم
بعد ذلك لم يكن فى الواقع الا عطية من الله . لم يكن ملكك وانما
أمانة وضعها الله فى يدك لفترة محدودة هى فترة العمر ، وعندما
تنقضى حياتك على الأرض ستخرج منها فقيرا كما أتيت ، وعريانا
كما ولدت . أما قنية العالم التى ادعيت ملكيتها عندما كنت على
الأرض والتى تركتها رغما عنك ، فسيدعى ملكيتها غيرك ، وينتقل
من الأرض ليدعى ملكيتها ثالث ، وهكذا دواليك . .

انك لا تملك شيئا اذن ، حتى ذاتك . لم يكن لك ذات من قبل
اذ لم يكن لك كيان أو وجود ، كنت عدما . ثم خلق الله ذاتك .
وعندما سقطت وأصبحت هذه الذات ملكا للموت والهلاك ، عاد
الله واشترها بدمه وافتداها لنفسه . أنت اذن من كل ناحية
لا تملك شيئا حتى ذاتك ، لذلك فالذى يخطىء الى ذاته يخطىء الى
الله نفسه ، لأنه يفسد نفسا ملكا لله ، ويفسد جسدا سر الله بعد

أن امتلكه أن يجعله هيكلًا لروح القدس . وبالمثل من يخطئ إلى الآخرين ، فإنه يخطئ ضد الله نفسه عن طريق مباشر وغير مباشر . لقد أخطأ داود ضد أوريا الحثي وزوجته ومع ذلك قال الله « لك وحدك أخطأت » وليس السبب في ذلك مخالفته لله فحسب ، وإنما خطيئته أيضا ضد كائنين هما ملك الله .

ان شعرت بهذا يا أخى الحبيب أدركت خطورة الخطية في وضعها الدقيق ، انك لا تملك ذاتك حتى تتصرف فيها تصرف الملك في أملاكهم .

أما من جهة المقتنيات فقد شرحنا كيف أنها جميعا ليست ملك وانما هي عطية من الله . أنت مجرد انسان استؤمن عليها ليدبرها بأمانة كما يليق بوكيل صالح . وهذا التدبير سيسألك الله عنه عندما يقول أعطني حساب وكالتك (لو ١٦ : ٢) . من أجل هذا نجد ملكا غنيا جدا كداود « يرى الأمور على حقيقتها فيقول : « أما أنا فمسكين وفقير » (مز ٦٩) لم يكن فقيرا حسب العرف البشرى الخاطيء ، ولكنه حقا لا يملك شيئا بحسب النظرة الروحية السليمة . ومن أجل هذا أيضا كنا نجد الآباء القديسين يندرون الفقر الاختياري ، وينظرون اليه كأحد الأعمدة التي تقوم عليها حياتهم الرهبانية .

وبهذا يمكنك أن تفهم الصدقة بمعناها الصحيح ، انك لا تعطى من مالك شيئا ، وانما أنت تعطى لخليقة الله من مال الله . الأمر اذن لا يدعو إلى البر الذاتى أو إلى الفخر ، ولا يدعو أيضا أن تفكر فى الابتعاد عن مدح الناس لك ، بأن تمدح نفسك بالتصدق تحت امضاء « فاعل خير » أعجبنى متبرع قرأت امضاءه فاذا هو : « فاعل شر يرجو الصلاة من أجله » .

ان الكائن الوحيد الذى يتصدق من ماله على الناس هو الله .

ولست أحب أن أسمى الصدقة فضيلة ، حيث أنها ليست
فضلا أو تفضلا من المتصدق . وهو لا يعدو أن يكون ، كما قلنا ،
موصلا لنعمة الله الى الآخرين ، وما يقال عن الصدقة يقال عن باقى
الأعمال الحسنة التى لا يمكن أن تعتبر فضلا من أحد .

يلحق بالصدقة عنصر آخر وهو الشكر عليها ، كيف تقبل
يا أخى أن يشكرك الناس على شىء لم تدفعه من عندك ، ان كان
المال مال الله ، فكيف تشكر أنت عليه ، وكيف ترضى بقبول هذا
الشكر ؟ أعط مجدا لله ، وتوار ليظهر هو ، فهو الذى عمل العمل
كله .

ان الشعور بالامتلاك قيد يقيد روحك ، ويشعرك بما ليس
فيك حقيقة ، فاهرب منه ليس انكارا لذاتك ، وانما اعترافا
بحقيقتك وليكن الله معك .



انطلق يا أخى من استعباد ذاتك
لك لانك ان وصلت الى اتفاق مع
نفسك ، وتحررت من الداخل ، فلن
تستطيع كل الظروف المحيطة أن
تؤثر عليك ، ان تكون قد وصلت الى
انطلاق الروح .



من

سلطان ذاتك

هل تحسب يا أخى الحبيب أن العالم له سلطان عليك ؟ وهل
تظن أن العثرات والمغريات هي السبب في سقوطك ؟ كلا . تخطيء
كثيرا ان ظننت شيئا من هذا . فقد يكون للعالم أو مغرياته بعض
التدخل ، ولكن السبب الأساسى الحقيقى لسقوطك هو ذاتك من
الداخل .

لو لم تكن قابلا للخطية ، مرحبا بها ، أو محبا لها ، لو لم تكن
هكذا ما سقطت .

لقد كان يوسف الصديق يعيش في جو مشبع بالخطية ، وقد
أحاطت الخطية فعلا بيوسف في عنف . ولكنه لم يسقط ، لأن كل
الاعراض لم تستطع أن تدخل الى قلبه النقى . فانتصر على الخارج
كله ، لأنه كان منتصرا في الداخل .

لا تقل، انى سقطت لأن العالم مليء بالمغريات ، ولكن الأصح
أن تقول : انك سقطت لأن فى قلبك حيننا الى تلك المغريات وقبولاً
لها .

اثنان يمران فى الطريق على حانة ، فلا يستطيع أحدهما أن
يقاوم منظر زجاجات الخمر المعروضة ، فيدخل ويشرب ويسكر ،
وأما الآخر فيمر على الحانة دون أن يشعر بوجودها أو بوجود
الخمر فيها . لا يراها معثرة ، ولا تترك فى نفسه أثراً ، ولا تغريه ،
لسبب واحد : وهو أن قلبه خال من الحنين الى الخمر ، خال من
محبتها . قلبه نقى من الداخل لا تقوى عليه المؤثرات الخارجية .

انتصارك انن فى حياتك الروحية يتوقف على عامل حيوى ،
وهو نتيجة المعركة الداخلية بينك وبين نفسك . ان استطعت أن
تصلب ذاتك فى داخلك ، ستخرج الى العالم الخارجى بتلك العين
البسيطة التى ترى الخير فى كل شىء ، والجمال فى كل شىء ،
وكما يقول الرسول : « كل شىء طاهر للطاهرين » (تيطس ١ : ١٥)

بعض الناس يتحاشون الأوساط الخارجية المعثرة ، وهذا
حسن وواجب ، لأن الله منعنا عن مجالس المستهزئين وطريق
الخطاة . ولكن الخطأ هو أن هؤلاء البعض يكتفون بتحاشى
الأوساط الخارجية تاركين الحيوان الرابض فى أحشائهم كما هو
فى شهوته للعالم والأشياء التى فى العالم . أمثال هؤلاء قد
يصادفهم النجاح بعض الوقت ، ولكن ما أسرع ما يسقطون عندما
تضغط عليهم التجربة وتقمم الاغراءات ذاتها فى حياتهم . . .
هؤلاء يحبون الخطية وان كانوا لا يفعلونها ، والشخص الذى
يحب الخطية قد يسقط فيها - ولو بعد حين - مهما تحاشاها .

أمثال هؤلاء يبتعدون عن الشر ، ولكنهم يعتقدون فى نفس الوقت أن عملهم هذا تضحية منهم فى سبيل الله . انهم - كالخطاة تماما - مازالوا يعتقدون أن الشر لذيذ ، والخطية حلوة مشتهاة ، وما زالوا ينظرون الى الشجرة فيجدونها جيدة للأكل وبهجة للعيون وشهية للنظر ، ولكنهم يفترقون فى أمر واحد وهو أنهم لا يمدون أيديهم ليقطفوا . انهم لم ينتصروا فى الداخل ، ولم يسكن الله فى قلوبهم لذلك فهناك فى العالم ما يغريهم وما يعثرهم ، ففيه الخطية المحبوبة التى يشتاقون اليها ولكنهم يهربون منها خوف السقوط فيها .

أستطيع أن أقول ان هؤلاء - من ناحية الفعل - يطيعون وصايا الله ، وان كانوا لا يحبونها ولا يحبونه .

مثل هذا النوع اذا استمر فى جهاده قد يخلص كما بنار ، وقد لا يستطيع أن يستمر فى الجهاد فيسقط ويكون سقوطه عظيما ، لأن بيته ليس مؤسسا على الصخر . أما الوضع الصحيح الذى يكون فيه الروح منطلقا ، فهو عدم الاستعباد للخطية وعدم محبتها ، حيث يكون الانسان حرا من تأثير الشر عليه . (فالمغريات) فى نظر غيره ، ليست هكذا بالنسبة اليه لأنها لا تغريه ، بل على العكس هو لا يتفق معها بطبيعته المقدسة ، لذلك فهو لا يتجاوب معها ، بل ينفر منها دون جهاد ودون تعب ، ان قد ترك هذا الجهاد السلبي ، وأصبح جهاده سعيا فى سبيل التعمق فى الروح وفى معرفة الله .

ولكن الانسان - كما قلنا - لا يمكن أن يصل الى هذه الحالة ما لم يتنق من الداخل ، وينتصر فى حربه مع نفسه التى تشتتهى ضد الروح . على الانسان أن يصل مع نفسه الى اقتناع أكيد بمرارة الخطية وبشاعتها ، وبحلاوة الله وامتعة الحياة معه .

وفي هذه الحرب الداخلية « يقمع الانسان جسده ويستعبده »
(اكو ٩ : ٢٧) بل ويضرب في ذاته رغباته وشهواته . لا يقيدھا
ويتركھا تصرخ فتحنن قلبه بصراخها ووعودھا ، وانما ينظر اليھا
بمنظار الله فيجدها حقيرة لا تستحق شيئا فينفر منها . . . وهكذا
يقول مع الرسول « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح الذي
بحيا في » . (غل ٢ : ٢٠) . ألسنت ترى أن هذا بعضا مما يقوله
السيد المسيح « من اراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من
أجلى يجدها » (مر ٨ : ٣٥) .

ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يتم بدون معونة خاصة من الله
لذلك فالجهاد مع النفس لابد أن يصحبه جهاد مع الله . جاهد يا أخى
معه في ضراعة مرددا قول اسرائيل البار « لا أتركك حتى تباركنى »
(تك ٣٢ : ٢٦) . قل له أيضا : « تنضح على بزوفاك فأطهر ،
وتغسلنى فأبيض أكثر من الثلج » (مز ٥٠) . وثق أنك اذا خرجت
من هذه الحرب منتصرا فمن الحال أن تقوى عليك كل قوى الشر
ولو اجتمعت .

ولكنك ترى يا أخى الحبيب أن كل هذا يحتاج الى الخلوة ،
ومن هنا كانت الخلوة عنصرا أساسيا فى حياة أولاد الله . استطاعوا
بها أن يجلسوا الى نفوسهم ، وأن يجلسوا الى خالقهم ، وأن يخرجوا
من هذا وذاك بأسلحة متجددة تعينهم فى حياتهم الروحية ، وتدفعهم
باستمرار الى العمق . . . انظر الى حياتك جيدا وتأملها فى صراحة
فربما كان أسباب سقوطها افتقارها الى الخلوة .

ان الشخص الذى لم يختبر هذه الخلوة ، هو شخص لا يعرف
نفسه على حقيقتها . وهو شخص فى أغلب الأحوال يجرفه التيار
فلا يعلم الى أين يذهب . انه غالبا يفكر بعقلية الجماعة ويسير على
هداها ، فينحدر ويظل فى انحداره حتى يخلو الى نفسه فيحس أنه
ساقط .

أما أنت فلا تكن هذا الشخص • حدد لنفسك أوقاتا مقدسة
تراجع فيها سيرتك ، وتذكر فيها المبادئ السامية التي اقتنعت
بها منذ زمان ، ولتسترجع أمامك حياة المنتصرين من أولاد الله ،
وتغذى نفسك بكلام الله وأقوال الآباء وسيرهم ، وتسكب نفسك
أمامه في حرارة وعمق • تأخذ منه خبزك اليومي الذي لا غنى لنفسك
عنه •

الله معك يقويك ، ويهبك القداسة التي من عنده ، ويغفر لنا
خطايانا •



« هل تحسب أنى سأحاسب وحدى
على خطاياى ؟ .. كلا ، بل انكم
ستقتسمون الحساب معى ... فلو
اعتنت بى الكنيسة ما كنت أصل
الى هذه الحالة !! »

صلى الله عليه وسلم

قال لى وهو ينفث دخان سيجارته فى وجهى : « لعلك تعجب
من حالتى الآن ، فنظرت الى شعره الطويل المصفف اللامع وعينيه
الغائرتين ، وأسنانه الصفراء ، وأصابعه المرتعشة فى عصبية
ظاهرة ، وشعرت نحوه بكثير من الاشفاق ... انه واحد من الذين
فداهم المسيح بدمه .. وقبل أن أجيبه بشيء استطرد فى مرارة :
« اننى لم أكن هكذا كما تعلم ... كنت قوى الروح ، رضى الخلق ،
مواظبا على الكنيسة ، ثم أخذت أفتر شيئا فشيئا حتى انقطعت عن
حضور الاجتماعات فلم تفتقدنى الكنيسة أو تسع لارجاعى ، وزاد
غيابى وزاد معى فتورى ، وضعفت ارادتى ، وظللت أهوى من قمتى
العالية قليلا دون أن يفتقدنى أحد .. الى أن افتقدنى الشيطان ..
وعندما أتى وجد قلبى مزيئا مفروشا ووجد ارادتى منحلّة ، ولم يجد
حولى انجيلا ولا صلاة ولا واحدا من المرشدين الروحانيين ، وهكذا
ضعت فريسة سهلة ، وسرت فى الظلام .. الظلام المحبوب الذى أحبه
الناس أكثر من النور » . وهز رأسه فى هدوء وقال : « اننى
أشتري الآن أربع علب من التبغ كل يوم » .

وشبهت فى دهشة وألم ولكنه استمر « وأذهب الى دور الخيالة
ما لا يقل عن ثلاث مرات فى الأسبوع ، وأقرأ القصص العابثة ،

وأتسلى بالأغاني المأجنة • وأصطحب جماعة كأنهم من زبانية
الجحيم •• فى بدء سقوطى كنت أقاوم الخطيئة ولا أستطيع ، لضعف
ارادتى •• أما الآن فانى لا أقاوم على الاطلاق ، ثم ضحك فى استهتار
وقال : « بل أخشى أن أقول ان الخطيئة هى التى تقاومنى ، ولكنها
لا تستطيع لضعف ارادتها ! »

وكنت خلال ذلك حزينا جدا ، أما هو فنظر الى نظرة قاسية
وقال فى حدة : « هل تحسب أننى سأحاسب وحدى على خطاياى •
كلا • بل انكم ستقتسمون الحساب معى •• فلو اعتنت بي الكنيسة
ما وصلت الى هذه الحالة • »

ليس المهم يا صديقى القارىء أن أكمل لك قصة هذا الشاب
فإنها واحدة من شبيهات كثيرات • على أننى أقول لك اننى رجعت
الى منزلى فى تلك الليلة وأنا فى غاية الألم من أجله ومن أجل نفسى •
أخذت أسائل نفسى فى صراحة : كم شخص مثل هذا تدهورت حالته
نتيجة لعدم افتقاده وعدم اهتمامى ؟ وأخذت أستعرض أسماء الذين
لم أفتقدهم منذ مدة ، وانتابنى خوف وهلع ، وشعرت نحوهم بكثير
من القلق ، ثم تساءلت : أعلل وجودى خادما هو معطل لخدمة
الله •• ورنيت فى أذنى عبارة الشاب « انكم ستقتسمون الحساب
معى » وتذكرت قول القديس يعقوب الرسول : « لا تكونوا معلمين
كثيرين يا اخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم لأننا فى أشياء كثيرة
نعثر جميعا • »

ولما استمرت حالة الاضطراب مدة معى ، طلبت اعفائى من
الخدمة ، واذ رفض طلبى ارتميت أمام الله وبكيت بكاءا مرا •
عرفت اننى مسكين ••

مسكين عندما رضيت أن أكون خادما ولم أقل عبارة أرميا :
« آه يا سيد الرب انى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد • » ومسكين

عندما كنت أحسب الدرس مجرد محاضرة ألقيا في هدوء وأنصرف
في هدوء .

يا اخوتي القراء صلوا من أجلى جميعا ، ومن أجل كل مدرسى
مدارس الأحد فانهم مساكين مثلى ومحتاجون .

وإذ أشكو وأتألم من مسئولية فصل صغير ، ماذا أقول
يا اخوتي عن آبائى الكهنة ؟ أليسوا هم بالاكتر مساكين جدا ،
ماذا يفعل الكاهن وهو مسئول عن خمسة أو عشرة آلاف نسمة ؟
ماذا يجيب عندما يناديه الله « أعطنى حساب وكالتك » .

فى كنيسة الآباء الأول كان يعاون الكاهن جماعة من
الشماسة ، يعملون معه ويساعدونه فى الخدمة ويأكلون مثله من
مال الكنيسة . أما الآن فإن أبانا الكاهن يعمل بمفرده ، فصلوا من
أجله كثيرا حتى يعينه الله على اتمام واجبه ، وأنت يا أبى الكاهن
ما الذى دفعك الى الكهنوت ؟ هل نظرت الى امتيازه أم الى مسئوليته ؟
ألا تعرف يا أبى أنك مسئول عن كل رعيتك : الكبار والصغار ،
الرجال والنساء ، الشبان والشابات . ولست مسئولا عن من يحضرون
الكنيسة فحسب ، بل أيضا عن من فى دور العبث والفساد ، عن كل
شاب ماجن فى الطريق ، وكل سكير فى حانة ، وكل نزاع فى أسرة .

ان لم تعرف يا أبى أنك مسكين جدا فخير لك أن تعرف هذا
من الآن . فادخل الى مخدعك وابك بكاء مرا . سلم الأمر لله .
قل له أنك ضعيف ، وان حملك ثقيل ، جاهد واسهر ، لئلا يأتى
بغته فيجدهك نائما .

ان كان أبونا الكاهن هكذا فماذا نقول يا اخوتي عن أبائنا
الأساقفة ، الذين سيسأل الله كل واحد منهم عن حوالى مائتى ألف
نسمة أو اكثر : كهنة وعلمانيين ؟! الا تروا معى يا اخوتي أنهم

مساكين جدا • فصلوا من أجلهم بلجاجة حتى يساعدهم الله على أداء أعمالهم • وأنت يا أبى الأسقف ما الذى دفعك الى الأسقفية ؟ أهو المنصب أم المسئولية ؟ هل اشتجيت فيها المركز والسلطة ولقب « صاحب النيافة » وعضوية المجمع المقدس ، أم انك تشتجى تخليص النفوس !

ثم ماذا فعلت يا سيدى الأسقف بخصوص مسئوليتك ؟ قارن حالة الايبارشية منذ توليتها حتى الآن ••• هل تقدمت أم زالت كما هي ؟ يحسن بك يا أبى الأسقف أن تدخل الى قلايتك وتبكي بكاء مرا • تذكر أن الرهبان القديسين كانوا يهربون من هذا المنصب لأن مسئوليته مخيفة • فاذا ما أمسك واحد منهم بالعنف ورسم أسقفا رغما عنه كان يبكى ويصرخ أمام الله قائلاً : « أنت تعرف يا رب أنني ذهبت الى الدير لأخلص نفسى ، وهانذا قد أرجعت الى العالم ولم أخلص نفسى بعد ، ومطلوب منى العمل على تخليص الآخرين أيضا • وأنا يا رب لا أستطيع ، فاعمل أنت » وكان الله يعمل •

ثم ماذا عن أبائنا البطارقة الذين سيسأل الله كل واحد منهم عن حوالى ثلاثة ملايين نسمة فى مصر ، وعدد أكثر من هذا فى الحبشة والسودان والخمس مدن الغربية التى نسمع عنها فى القداسات ••• ماذا نقول عن هؤلاء ومسئولياتهم الخطيرة ؟ أليسوا هم أيضا مساكين ؟ ••• صلوا يا اخوتى من أجل كل بطيريك حتى يتمكن من القيام بواجبه وحتى يعطى جوابا حينما يسأله الله عن نفسه ونفوس الأساقفة والقسوس والشمامسة والرهبان والعلمانيين ، وعندما يسأله عن حفظ قوانين الكنيسة وعن نشر الأرثوذكسية فى العالم •••

وأنتم يا من سترشحون للبطيركية فى يوم ما ، أن عرضت عليكم فاهربوا لحياتكم ، وان دعاكم الله فانظروا الى مسئولياتها ، وادخلوا الى قلايتكم وابكوا أمام الله بكاء مرا •

يا اخوتي القراء : لا تنظروا الى خدام الله ومن يتحملون
المسئوليات نظرة المتفرج تمدحونهم ان أحسنوا وتحاسبونهم ان
أساءوا وانما صلوا من أجلهم حتى ينجح العمل .

• وأنت يا سيدي الخادم اهتم بالمسئولية وليس بالمنصب .
• ومتى شعرت بالعبء ألق على الرب همك وهو يعولك .

أغلق الباب وحاجج في دجى الليل يسوعا
واملاً الليل صلاة وصراعاً ودموعاً



حلال الدنيا

« ٠٠٠ قد كرسوا كل حياتهم لله فكانت كل دقيقة من أعمارهم تنفق في الخدمة ٠٠٠ وهكذا كانوا يعتبرون الخدمة الروحية عملهم الرئيسي ، ويرون باقى أعمال العالم أمورا ثانوية » .

في تلك الليلة أننى كنت وحيدا في غرفتى الخاصة ، ممتددا على مقعدى وناظرا الى لا شيء ، واذ بابتسامة خاطئة تمر على شفتى - لعلى كنت أفكر فى نفسى كخادم - وهنا حدث حادث غريب : هل ثقلت رأسى فنمت ، أم اشتطت أفكارى فتحولت الى أحلام ؟ أم أشهر الله لى احدى الرؤى؟ لست أدرى ، ولكننى أدرى شيئا واحدا وهو أننى نظرت فاذا أمامى جماعة من الملائكة النورانيين ، واذا بهم يحملوننى على أجنحتهم ويصعدون بى الى فوق ، وأنا أنظر الى الدنيا من تحتى فاذا هى تصغر شيئا فشيئا حتى تتحول الى نقطة صغيرة مضيئة فى فضاء الكون ، وأنصت الى أصوات العالم وضوضائه فاذا هى تأخذ فى الخفوت حتى تتحول الى سكون ، وأتأمل نفسى فاذا بجسمى يخف ويخف حتى أحس كأننى روح من غير جسد - فأتلفت فى

سكن

وفاك الله

حيرة حولى لأرى أرواحا كثيرة سابحة مثلى فى الفضاء اللانهائى ،
وأرى من الملائكة ألوقا وربوات ربوات - ها هم الشاروبيم نوو
السة الأجنة والشاروفيم المملئون أعينا - وها هى أصوات
الجميع ترتفع فى نغم واحد موسيقى عجيب « قدوس ، قدوس ،
قدوس » ولا أتمالك نفسى فأنشد معهم دون أن أحس « قدوس
الله الأب ٠٠٠ قدوس ابنه الوحيد ٠٠٠ قدوس الروح القدس »
واستيقظ عن انشادى لأسمع نغمة قدسية خافتة لم تسمعها أذن
من قبل ، فاتجه فى شوق شديد نحو مصدر الصوت ، فاذا أمامى
على بعد مدينة جميلة نورانية معلقة فى ملك الله ، تموج بالتسبيح
والترتيل ، كلما أسمع منها نغما يمتلىء قلبى فرحا ، وتهتز نفسى
اشتياقا ، ثم أنا أنظر فأرى فى المدينة على بعد أشباحا أجمل من
الملائكة : هوذا موسى ومعه ايليا وجميع الأنبياء ، هوذا أنبا
أنطونيوس وأنبا أثناسيوس وجميع القديسين ، ها هم أبائى
الأساقفة وأبائى الكهنة - وها هو أب اعترافى - ثم ها هم بعض
زملائى مدرسى مدارس الأحد ٠٠٠ ولم أستطع أن أتأمل أكثر
من ذلك بل اندفعت فى قوة نحو تلك المدينة النورانية ، ولكن
عجبا - اننى لا أستطيع التقدم ، فهناك ملاك جبار كله هبة وجلال
ووقار يعترض سبيلى قائلا :

— « مكانك قف ! الى أين أنت ذاهب ؟ » فأجيبه :

— « الى تلك المدينة العظيمة يا سيدي الملاك - الى حيث زملائي
واخوتي وآبائي القديسون » . ولكن الملاك ينظر الى في دهشة
ويقول :

— « ولكنها مدينة الخدام فهل أنت خادم ؟ » فلما أجبته بالايجاب
قال لي :

— « انك مخطيء يا صديقي فاسمعك ليس في سجل الخدام » .
وعصفت بي الدهشة فصرخت في هذا الملاك حارس المدينة :



— « كيف هذا ؟ لعلك لا تعرفنى يا سيدى الملاك . اسأل عنى مدارس الأحد واجتماعات الشبّاب واسأل عنى الكنائس والجمعيات . بل اسأل عنى أيضا فى مدينة الخدام اذ يعرفنى هناك كثير من زملائى مدرسى مدارس الأحد . »
وأجابنى الملاك فى صرامة وصراحة :

— « اننى أعرفك جيدا ، وهم أيضا يعرفونك ، ولكنك مع ذلك لست بخادم فهذا حكم الله . »

ولم أحتمل تلك الكلمات ، فوقعت على قدمى أبكى فى مرارة . ولكن ملاكا آخر أتى ومسح كل دموعه من عينى ، وقال لى فى رفق :

— « انك يا أخى فى المكان الذى هرب منه الحزن والكآبة فلماذا تكتئب ؟ — تعال معى ولننتفاهم . »

وجلسنا منفردين نتناقش فقال لى :

— « ان أولئك الذين تراهم فى مدينة الخدام قد كرسوا كل حياتهم لله ، فكانت كل دقيقة من أعمارهم تنفق فى الخدمة . أليست هكذا كانت حياة بولس وباقى الرسل ؟ أليست هكذا كانت حياة موسى والأنبياء ؟ أليست هكذا كانت حياة القديسين والكهنة والشمامسة ؟ أليست هكذا كانت حياة القديسين ؟ أما أنت يا صديقى فلم تكن مكرسا بل كنت تخدم العالم . وكل ما لك من خدمة روحية هو ساعة واحدة فى الأسبوع تقضيها فى مدارس الأحد ، وأحيانا كانت خدماتك الأخرى تجعلك تعطى الله ساعة ثانية ، فهل من أجل ساعتين فى الأسبوع تريد أن تجلس الى جانب الرسل والأنبياء والكهنة فى مدينة الخدام ؟ » . وكنت مطرقا خجلا أثناء ذلك الحديث كله ، غير أننى قاومت خجلى وتجرأت وسألت الملاك : « ولكننى أرى فى مدينة الخدام بعضا من زملائى مدرسى مدارس الأحد وهم مثلى فى خدمتى » فأجابنى الملاك :



— « كلا ! انهم ليسوا مثلك . حقيقة انهم كانوا يخدمون ساعة أو أكثر فى مدارس الأحد ولكنهم كانوا يقضون الأسبوع كله تمهيدا لتلك الساعة ، فكانوا يصرفون وقتا كبيرا فى تحضير الدروس ووسائل الايضاح ، وطرق التشويق ، والصلاة من أجل كل ذلك ، وبحث حالات التلاميذ واحدا واحدا ، والتفكير فى طريقة لاصلاح كل فرد على حدة ، يضاف الى ذلك انشغالهم فى الافتقاد ، وفى ابتكار طرق نافعة لشغل أوقات تلاميذهم أثناء الأسبوع — ثم كانت لهم خدمات أخرى مختلفة لا تعرفها ، وهكذا كانوا يعتبرون الخدمة الروحية عملهم الرئيسى ، ويرون باقى أعمال العالم أمورا ثانوية — لا أعنى أنهم أهملوا مسئولياتهم وواجباتهم العالمية بل كانوا مخلصين لها جدا وناجحين فيها للغاية وان كان عملهم العالمى أيضا لا يخلو من الخدمة ، وهكذا حسبهم الله مكرسين » .

وعجب من هذه العبارة فسألت : « وكيف أستطيع أن أكون خادما وأنا مشغول بعملى العالمى ؟ » فأجابنى الملاك :

« لعلك نسيت يا أخى عمومية الخدمة ! يجب أن تخدم الله فى كل وقت وفى كل مكان : فى الكنيسة وفى الطريق وفى منزلك وفى مكان عملك وأينما حلت أو تنقلت .

« لا يجب اذن الفصل بين المهنة والخدمة ، فعندنا فى مدينة الخدام مدرسون استطاعوا أن يجذبوا كل تلاميذهم المسيحيين الى مدارس الأحد ، وأن يصلحوهم ويتعهدوهم بالعناية المستمرة . وعندنا فى مدينة الخدام أطباء لم يتخذوا الطب تجارة وانما اهتموا قبل كل شىء بصحة مرضاهم مهما كانت حالتهم المالية ، فكانوا فى أحيان كثيرة يداوون المريض ويرسلون له الدواء - كل ذلك بدون أجر ، بل كانوا يقومون بتأسيس المستشفيات والمستوصفات المجانية ، وعندنا فى مدينة الخدام موظفون استطاعوا أن يقودوا كل زملائهم فى العمل الى الكنيسة للاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة . وهناك أيضا مهندسون ومحامون وفنانون وتجار وصناع : كل أولئك كانوا خداما فى مهنتهم ، فهل كنت أنت كذلك ؟ » .

فخجلت من نفسى ولم أجب ولكن الملاك قال لى فى تأنيب مؤلم :

— « هذا عن الخدمة فى مكان عملك : ثم ماذا عن خدمتك فى أسرتك ! - ان يشوع الذى تراه فى مدينة الخدام كان يقول « أما أنا وبيتى فنعبد الرب » . أما أنت فلم تخدم بيتك بل كنت على العكس فى نزاع مستمر مع أفراد أسرتك ، بل فشلت فى أن تكون قدوة لهم وأن تجعلهم يقتدون بك . ثم ماذا عن أصدقائك وزملائك وجيرانك ومعارفك ؟ كنت تزورهم فى عيدى الميلاد والقيامة دون أن تحدثهم عن الميلاد والقيامة ، وعن الولادة الجديدة والقيام من الخطية بل تفرح معهم فرحا عالميا ، وأتيحت لك فرص كثيرة لخدمتهم ولم تستغلها ، فهل تعتبر نفسك بعد كل ذلك خادما ؟ ! » .

وطأطأت رأسى خجلا للمرة الثالثة ، ولكنى مع ذلك احتلت على الاجابة فقلت :

— « ولكنك تعلم يا سيدى الملاك أننى شخص ضعيف المواهب ولم أكن مستطيعا أن أقوم بكل تلك الخدمة .

واندهش الملاك ، وكأنما سمع هذا الرأى لأول مرة ، فقال فى حدة :

— « مواهب ؟ ومن قال انك بدون المواهب لا تستطيع ان تخدم ! هناك يا أخى ما يسمونه العظة الصامتة : لم يكن مطلوبيا منك أن تكون واعظا وانما أن تكون عظة . . . ينظر الناس الى وجهك فيتعلمون الوداعة والبشاشة والبساطة ، ويسمعون حديثك فيتعلمون الطهارة والصدق والأمانة ، ويعاملونك فيرون فيك التسامح والاخلاص والتضحية ومحبة الآخرين فيحبوك ويقلدوك ويصيروا بواسطتك أتقياء دون أن تعظ أو تقف على منبر ، ثم هناك صلاتك من أجلهم وقد تجدى صلاتك أكثر من عظاتك » .

وللمرة الرابعة تولانى الخجل والارتباك ، فلم أحر جوابا - واستطرد الملاك فى قوله :

— « وكان يجب عليك أيضا - كعظة صامتة - أن تبتعد عن العثرات فلا تتصرف تصرفا مهما كان بريئا فى مظهره ان كان يفهمه الآخرون على غير حقيقته فيعثرهم - وهكذا تكون (بلا لوم) أمام الله والناس كما يقول الكتاب : جاعلا أمام عينيك كخادم قول بولس الرسول : « كل الأشياء تحل لى ، ولكن ليست كل الأشياء توافق » (اكو ٦ : ١٢) .

وتأملت حياتى فوجدت أننى فى أحوال كثيرة جعلت الآخرين يخطئون ولو عن غير قصد . وقطع على الملاك حبل تأملاتى قائلا فى رفق :

— « ولكن ليس هذا هو كل شيء . اننى أشفق عليك كثيرا يا صديقى الانسان . وقد كنت أشفق عليك بالأكثر أثناء وجودك

فى العالم ، وخاصة فى تلك اللحظات التى كنت تتألم فىها من (البر
الذاتى) . كنت تنظر الى خدماتك الكثيرة فتحسب أنك مثال
للخدمة بينما لم تكن محسوبا خادما على الاطلاق . ولعلك قد
اقترفت أخطاء كثيرة أخرى ، منها أن خدمتك كانت خدمة رسميات ،
فقد كنت تذهب الى مدارس الأحد كعادة أسبوعية ، وكعادة أيضا
كنت تصلى بالأولاد ، وكنت ترصد الغياب والحضور ، فتعطى
للمواظب جائزة ، وتهمل الغائب كأنك غير مسئول عنه . وهكذا
خلت خدمتك من الروح ومن المحبة ، ولم تستطع أن تصل الى
أعماق قلوب الأولاد ، لأن كلماتك وتصرفاتك لم تكن خارجة
من أعماق قلبك . ولم يكن فى الترتيل الذى تعلمهم اياه روح
البهجة ، ولم تكن فى صلواتك معهم روح الانسحاق أو التأمل
أو التضرع . ولم تكن فى أوامرك لهم روح المحبة . وهكذا لم تحدث
فى خدمتك تأثيرا ، وكذلك كنت فى عظاتك فى الكنائس أيضا :
تعظ لأن الكاهن طلب منك ذلك فوعده وعليك أن تنفذ ، فكنت
تهتم بتقسيم الموضوع وتنسيقه ، واخراجه فى صورة تجذب
الاعجاب أكثر مما تهتم بخلاص النفوس ، وكان صوتك رغم علوه
وايقاعه ووضوحه باردا خاليا من الحياة ، وكنت تبتهج -
ولو داخليا فقط - بمن يقرظ موضوعك دون أن تهتم هل جدد
الموضوع حياة ذلك الشخص أم لا . ألا ترى معى يا صديقى أنك
كنت تخدم نفسك ولم تكن تخدم الله ولا الناس . ولعل من دلائل
ذلك أيضا أنك كنت ترحب بالخدمة فى الكنائس الكبيرة المشهورة
الوافرة العدد دون الكنائس الصغيرة غير المعروفة كثيرا .

« ثم أنه نقص من خدمتك فى هذه الناحية أمران هما : حب
الخدمة وحب المخدمين . . . أما عن حب الخدمة فيتجلى فى قول
السيد المسيح : « طوبى للجياع والعطاش الى البر » فهل كنت
جوعانا وعطشانا الى خلاص النفوس ؟ هل كنت طول الأسبوع

تحلم بالساعة التي تقضيها وسط أولادك في مدارس الأحد ؟
هل كنت تشعر بالملأ اذا غاب أحدهم ، وبشوق كبير الى رؤية ذلك
الغائب فلا تهدأ حتى تجده وتعيد عليه شرح الدرس ! - ثم الأمر
الآخر وهو حب المخدمين : هل كنت تحب من تخدمهم ، وتحبهم
الى المنتهى مثلما كان السيد المسيح يحب تلاميذه ؟ هل كنت
تعطف عليهم فتغمرهم بالحنان ؟ وهل أحبك تلاميذك أيضا ؟ أم كنت
تتقضى الوقت كله فى انتهارهم ومعاقبتهم بالحرمان من الصوز
والجوائز ؟ من قال لك ان تلك الطريقة صالحة لمعالجة الأولاد ؟
ان المحبة يا صديقى الانسان هى الدعامة الأولى للخدمة .
ان لم تحب مخدميك لا تستطيع أن تخدمهم ، وان لم يحبوك
لا يمكن أن يستفيدوا منك » .

واطرقت فى خجل مرير وقد تكشفت لى حقيقتى بينما نظر
الى الملاك نظرة كلها عطف ومحبة وقال :

— « أريد أن أصارحك بحقيقة هامة وهى أنه كان يجب أن
تقضى فترة طويلة فى الاستعداد والامتلاء قبل أن تبدأ الخدمة -
لأنك وقد بدأت مبكرا ولم تكن لك اختبارات روحية كافية ، وقعت
فى أخطاء كثيرة » .

ونظرت اليه فى تساؤل وكأنما شق على أن أخطىء وقد كلفت
باصلاح أخطاء الآخرين ، فأجاب الملاك على نظرتى بقوله :

— « هناك ولد طردته من مدارس الأحد لعصيانه وعدم
نظامه - فأوجد هذا الطرد عنده لونا من العناد وقذف به الى أحضان
الشارع والصحبة الشريرة ، فأصبح أسوأ من ذى قبل ، وحاقت
به من تصرفك أضرار جسيمة ، خاصة وأنه فى حالته الجديدة فقد
المرشد والعناية ، ولا بد أنك مسئول عن هذا لأنه فى حدود
عملك » .

فأجبت (ولكنه يا سيدي الملاك كان يفسد على الدرس ،
بل كان قدوة سيئة لغيره) .

فأجاب الملاك فى مرارة :

— « وهل من أجل ذلك طردته ؟ يا لك من مسكين : هل أرسلك السيد المسيح لتدعو أبرارا أم خطاة الى التوبة ؟؟ ان تلاميذك القديسين الذين كنت بسببهم تحارب نفسك بالبر الذاتى ، ترجع قداستهم الى عمل الله فيهم ، أما ذلك المشاكس فهو الذى كان يجب أن تتناوله بالرعاية . لمثل هذا النوع دعاك الله . ولو أنك كرست جهودك كلها لاصلاح هذا الولد فقط ولم يكن لك فى حياة الخدمة غير هذا العمل ، لكان هذا وحده كافيا لدخولك مدينة الخدمة كان يجب أن تقدر قيمة النفس وأن يكون لك الكثير من طول الأناة .

فخادم مدارس الأحد الذى تخلص مؤهلاته من هاتين الصفتين .
لا يستحق أن يكون خادما .

فقلت للملاك فى رجاء : « وماذا كنت تريدنى أن أعمل مع هذا الولد ؟ » فأجاب :

— « تخدمه بقدر ما تستطيع ، وتختبر نفسيته وتعالجه بحسب ظروفه ، وتصلى كثيرا من أجله — فاذا ما فشلت فلا تطرده وانما حوله الى فصل آخر ، فقد ينجح زميل لك من المدرسين فيما فشلت أنت فيه — فاذا لم ينفع هذا أيضا يمكنكم أن تخصصوا فصلا أو أكثر من مدارس الأحد للأولاد المشاغبيين ، يعامل فيها هؤلاء الأولاد معاملة خاصة وفق طبائعهم — ويمكن أن تكثروا من افتقادهم ومن تقريبتهم الى قلوبكم على ألا يطرد واحد منهم مهما أدى الأمر . انهم ليسوا بأكثر شرا من الحالة الأولى لزكا أو المرأة السامرية أو مدينة نينوى . وخادم الله لا يعرف اليأس مطلقا ما دامت له الصلاة المنسحقة والقلب المحب » .

وشعرت بندم على تصرفاتى القديمة ، ولكن الملاك استطرد :

— « ثم هناك ولد آخر غاب عن فصلك أسبوعا ثم أسبوعين فلم تفتقده وكل ما فعلته كموظف رسمى فى مدارس الأحد (!!!) انك رصدته فى سجلك ضمن الغائبين ، واستغل الولد عدم افتقارك قاستمر فى غيابه ، وانتهزت أنت فرصة غيابه المستمر : فشطبته اسمه من قائمتك » .

ونظر الى الملاك فى صرامة وقال :

« لماذا لم تفقده ؟ » وضعت أمام حدة صوته ونظرته ، فصمت خوفا ، بينما كرر سؤاله مرة أخرى فى عنف « لماذا لم تفتقده ؟ » . وشعرت بعاصفة تجتاح رأسى ولم أجب ، بينما ارتعش الملاك وقال فى اضطراب :

— « ان حالته الروحية تدعو الآن الى الرثاء ، ولو استمر على هذه الحالة فانه سوف . . . » . واختلج صوت الملاك وصمت قليلا ثم قال :

— « اننى وكثير من الملائكة نصلى من أجله حتى ينقذه الله . . . وعندما يستجيب الله صلاتنا ويرسل اليه خادما آخر أميناً فى خدمته ، وعندما ينقذ الولد ، فان انقاذه سوف لا يخليك من المسئولية » .

وكان صوته خافتا متألما لم أحتمل سماعه ، فشعرت بالمناظر تدور أمام عيني ثم وقعت مغشيا على . . .

وعندما أفقت كان الملاك ينظر الى فى اشفاق ، وساعدتنى نظرته على التكلم فقلت :

« سامحنى يا سيدى الملاك فقد كان فى فصلى ثلاثون ولدا لم أستطع أن أفتقدهم جميعهم » فأجابنى : « وحتى أنت وقعت

فى هذه التجربة ؟ فى اغراء العدد ؟ ان الله لا يقيس الخدمة بعدد التلاميذ ، وانما بعدد المتجددين الخالصين منهم أنا أعرف أنه كان صعبا عليك أن تهتم بثلاثين ولدا من ناحية النظام والافتقار والرعاية والتعليم ، بل كان من الصعب عليك أن تحفظ مجرد أسمائهم ، فلم تستطع أن تقول مع المسيح « خرافى تعرفنى وأنا أعرفها » . ولكن لماذا لم تقتصر فى خدمتك على عشرة أولاد مثلا ؟

وفضلت الصمت لأنى لم أجد جوابا . أما الملك فانه قال فى اشفاق :

— « هل تعلم ما هو أهم سبب فى فشلك غير ما قلناه ؟ انه اعتمادك على نفسك . وهكذا نسيت أن تصلى وتصوم من أجل الخدمة . ان زملاءك مدرسى مدارس الأحد الذين فى مدينة الخدام كانوا يقيمون صلاة وصوما خصيصا من أجل فصولهم ، وكانوا فى كل يوم من أيام الأسبوع يذكرون أولادهم واحدا واحدا أمام الله طالبين طلبة خاصة من أجل كل واحد ، بل كانوا يطلبون من آبائهم الكهنة اقامة قداسات خاصة من أجل الأولاد فهل كنت كذلك ؟

« هذا كله عن الخدمة الروحية ، ثم ماذا عن خدمتك المادية ؟ هل ظننتها أمرا ثانويا ؟ ألم تعلم أن الغنى الذى عاصر اليعازر هلك لأنه لم يشفق على اليعازر المسكين ؟ ألم تسمع المسيح يقول للهاكين (كنت جوعانا فلم تطعمونى ، كنت عطشانا كنت عريانا كنت مريضا) فماذا فعلت أنت ؟ ألم تتمسك ببعض الكماليات بينما كان اخوتك محتاجين الى الضروريات ؟ ألم

ولم أحتمل أكثر من ذلك فصرخت فى ألم « كفى يا سيدى الملك ، الآن عرفت أننى غير مستحق مطلقا لدخول مدينة الخدام

- فقد كنت مغرورا يا سيدى ومغرورا جدا - أما الآن وقد عرفت كل شيء فانى أطلب فرصة أخرى أعمل فيها كخادم حقيقى .
فقال لى الملك : « لقد أعطيت لك الفرصة ولم تستغلها
ثم انتهت أيامك على الأرض ... » .

فألححت عليه وظللت أبكى وأرجوه ، أما هو فنظر الى فى اشفاق ومحبة وتركنى ومضى وأنا ما أزال أصرخ « أريد فرصة أخرى - أريد فرصة أخرى » . فلما اختفى عن بصرى وقعت على قدمى وأنا أصرخ « أريد فرصة أخرى » ثم دار الفضاء أمامى ولم أحس بشيء ...

ومرت على مدة وأنا فى غيبوبة طويلة ، ثم استفتت أخيرا وفتحت عيني ولكنى دهشت ، وازدادت دهشتى جدا .. وظللت أنظر حولى وأنا لا أصدق ، ثم دقت النظر الى نفسى فاذا بى ما أزال وحيدا فى غرفتى الخاصة متمديا على مقعدى ... يا لرحمة الله .. أحقا أعطيت لى فرصة أخرى لأكون خادما صالحا ؟ ...
وقمت فقدمت لله صلاة شكر عميقة ، ثم عزمتم أن أخبر اخوتى بكل شيء ليستحقوا هم أيضا الدخول الى مدينة الخدام . وهكذا امسكت بعض أوراق بيضاء ، وأخذت أكتب « حدث فى تلك الليلة ... » .



هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن
تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته .

وَتَبْرِكُونَنِي وَحْدِي

واقف وحده . .

كان ذلك المحب الحنون الطيب القلب يجول يصنع خيرا .
ينتقل من قرية الى قرية ومن مدينة الى مدينة يكرز ببشارة
الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . . ومع ذلك ،
اجتاز حياة مليئة بالألم . وكان الجميع يتركونه وحده ، على الرغم
من أنه فى حنانه لم يترك أحدا . وهكذا وجدناه وحيدا فى متاعبه
والآلامه ، وحيدا فيما يتعرض له من ظلم واضطهاد : لم يدافع
عنه أحد ، ولم يقف الى جواره أحد ، وإنما « جاز المعصرة وحده » .

كان يصلى فى بستان جثمانى ، وكان يكلم الآب فى حاجة
وقد سال « عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » ، وهو يصرخ فى
اكتئاب « يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » أما تلاميذه ،
أحبائهم وأصدقائهم ، فقد تركوه وحده وناموا ، ثلاث مرات يرجوهم
أن يسهروا معه ساعة واحدة وهم لا يستجيبون له ؟
(متى ٢٦ : ٢٨ - ٤٥) .

وعند القبض عليه تفرق تلاميذه كل واحد الى خاصته وتركوه
وحده كما سبق أن قال لهم (يو ١٦ : ٢٢) . ولما حوكم لم يدافع
عنه أحد ، وهو الذى دافع عن أشهر الخطاة . . . وفى آلامه لم يكن
هناك من يعزيه . انه درس يعطيه لنا السيد الرب عندما يضطهدنا
الجميع ، وعندما يتركنا حتى تلاميذنا أيضا ، ويقف كل منا وحده . .

وليس فى وقت الآلام فقط ، وانما فى كل حياته أيضا . .
كان يكلم اليهود فى الهيكل محدثا اياهم عن تناول من جسده
ودمه ، واذ صعب على البعض فهم هذا الأمر . يقول القديس
يوحنا : « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء
ولم يعودوا يمشون معه ، فقال يسوع للثلاثى عشر العلكم انتم
أيضا تريدون أن تمضوا » (يو ٦ : ٦٦) .

وفى مرة من المرات دعا البعض اليه ، فاعتذر واحد ببقرته
التي يريد أن يختبرها ، واعتذر الآخر لأنه مشغول بزوجته ،
واعتذر الثالث لمشغوليته بحقله . وتركه الجميع وحده ، مع أنهم
كانوا ثلاثتهم ممن أنعم عليهم (لو ١٤ : ١٨ - ٢٠) .

ويعوزنى الوقت يا أخى ان حدثتك عن المسيح الواقف وحده
الذى « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) ذلك النور
الذى جاء الى العالم وأحب العالم الظلمة أكثر من النور «
(يو ٣ : ١٩) .

كل ذلك حدث فى القديم وما زال يحدث حتى الآن . نفس
الصورة القديمة : المسيح واقف ، والعالم منشغل عنه بملاذه
وملاهيته وطيشه ، ليس من يهتم بيسوع ، ليس ولا واحد ، ليس
من يجلس اليه كمريم أخت مرثا ، أو يتكىء فى حضنه كيوحنا
بن زبدي ، أو يغسل قدميه كالمرأة الخاطئة . والمسيح نفسه
يشعر بهذه الوحدة ويعرف أن غالبية العالم منصرفه عنه .
بل ان الكتاب ليتساءل أكثر من هذا : عندما يأتى المسيح
الى العالم أعله يجد الايمان على الأرض !؟

فهل أنت أيضا تارك الرب يسوع وحده ، ألك ما يشغلك عنه -
اسأل نفسك ؟

كان وحيدا فى تفكيره :

قليلون كانوا يفكرون فى المسيح ، وحتى هؤلاء الذين كانوا يفكرون فيه ويتحدثون معه ويستمعون اليه ، هؤلاء أيضا كانت لهم طريقتهم الخاصة فى التفكير ، التى كثيرا ما كانت تتعارض مع طريقة المعلم الصالح .

يذهب السيد الى السامرة فتطرده تلك المدينة الخاطئة وتغلق أبوابها فى وجهه ، وهنا يلتفت التلميذان اللذان كانا مع المسيح ويقولان له : « ان شئت يا رب أن تنزل نار من السماء وتحرق هذه المدينة » ! ويرد عليهما السيد : « لستما تعلمان من أى روح انتما لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك العالم بل ليخلص العالم » . كان هذان التلميذان يفكران بطريقة غير طريقة معلمهما الطيب الذى يشعر أن له فى هذه المدينة كثيرين مختارين .

هذا الشعور العدائى نحو السامريين ، اقتبسه التلاميذ من معاصريهم من الفريسيين والكتبة وغيرهم . أما السيد المسيح فكان وحيدا فى تفكيره ازاء هؤلاء ، كان يحبهم ويعطف عليهم ويريد أن يجذبهم اليه : وهكذا حدث الناس عن السامرى الصالح ، وسار على قدمية مسافة طويلة ليهدى امرأة سامرية خاطئة ، ويتحدث الى مدينة السامرة .



وهكذا كان السيد وحيدا فى تفكيره ازاء الأمم أيضا . كان هؤلاء محتقرين من الناس ، أما السيد المسيح فقال جهارا عن قائد المئة الرومانى : « الحق أقول لكم اننى لم أجد فى اسرائيل ايمانا كايمان هذا الرجل » (متى ٨ : ١٠) . وقال هذا الكلام نفسه عن المرأة الكنعانية (متى ١٥ : ٢٨) .

وفى أغلب معاملات السيد للناس كان يقف وحده ، والعالم يقف بعيدا عنه من ناحية أخرى .

يجتمع اليهود حول امرأة زانية ضبطت فى ذات الفعل ، ممسكين حجارة فى أيديهم كى يرمموها . الجميع لهم فكر واحد . وهو أن تلك الخاطئة يجب أن تموت ، ولكن يسوع له فكر آخر « من منكم بلا خطية فليقذفها بأول حجر » (يوحنا ٨ : ٧) هكذا قال لهم ، فانصرف الجميع ، وقال السيد للمرأة : « وأنا أيضا لا أدينك . اذهبي بسلام » .

كان السيد المسيح يقف وحده بهذا القلب المحب ، والعالم القاسى يعجب منه ، هذا العالم المهتم بالمظاهر أكثر من كل شئ : وليس أدل ذلك من حادثتى الأعميين ، والأطفال :

كان السيد خارجا من أريحا ، فاعترض طريقه أعميان يصرخان بصوت عال « ارحمنا يا سيد يا ابن داود » . وظن الناس بتفكيرهم العالمى أن هذا الصراخ يزعج رب المجد فانتهبوا الأعميين ليسكتا (متى ٢٠ : ٣١) . أما يسوع الطيب القلب فنادى الأعميين اليه ، وفى حنان شفاهما ، انه لا يزعج من صراخ الناس وطلباتهم كما يزعج الغير .

وتكرر هذا التصرف أيضا عندما ازدحم حوالية الأطفال ، وظن الناس أن هؤلاء الصغار يضايقونه فانتهبوهم . أما هو فقال لهم : « دعوا الأطفال يأتون الى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (متى ١٩ : ١٤) .

كان وحيدا في فهمه للخدمة :

بينما كان الجمع يفكر أن السيد قد جاء ليكون ملكا على اسرائيل ، يحكم بأبهة الملوك ويخلص اليهود من اضطهاد الرومان ، كان السيد يفكر في مملكة روحية يملك بها على قلوب الناس قائلا لهم في أكثر من مناسبة : « مملكتي ليست من هذا العالم » (يو ١٨ : ٣٦) .

وعلى هذا الأساس كان يفهم الخدمة أنها صليب يحمله الخادم في أرض مبللة بالعرق والدموع ولكن هذه الأفكار لم يكن يفهمها حتى تلاميذه أيضا .

وهكذا ان حدث التلاميذ أنه ينبغي أن يسلم للناس ويقتل ويموت ويقبر ، أخذ بطرس الرسول ناحية وبدأ يوبخه قائلا : « حاشاك يا رب . لا يكون لك هذا » (متى ١٦ : ٢٢) فأجاب السيد له المجد : « أسكت يا شيطان » ، ترى كيف كان يمكن أن يخلص العالم لو نفذت نصيحة بطرس المسكين !

وهكذا أيضا فيما كان السيد يضع صليبه أمام عينيه باستمرار ، نرى التلاميذ يتركون معلمهم وحده في تفكيره ، متناقشين فيما بينهم وبين أنفسهم « من يكون فيهم رئيسا ! ونرى ابني زبدي يأتیان اليه مع أمهما ساجدين طالبين أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره في ملكوته ! ولكن السيد يرد هذين التلميذين الى المعرفة الحقيقية للخدمة وطريقها ويجيبهما : « لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا ؟ » (مر ١٠ : ٣٨) .

وحتى في كنه الخدمة نجد السيد المسيح واقفا وحده في تفكيره . يجمع الناس اليه فيتحدث اليهم بكلام النعمة ساعات طويلة حتى اذا ما أقبل المساء يأتي اليه التلاميذ قائلين : « أصرف الجموع لكي يمشوا الى القرى ويبتاعوا لهم طعاما » (لو ٩ : ١٢) يا للتلاميذ .

انهم لم ينضجوا بعد ، هل كانوا يفكرون أن الخدمة مجرد كلام يلقي على الناس ؟ أم أنها محبة عاملة ! وهكذا يرد عليهم السيد : « لا حاجة لهم أن يمضوا . أعطوهم أنتم ليأكلوا » .

وهيدا في الخدمة :

العالم مزدحم بخدماته ، بل ان الخدام فيه ليناقس بعضهم بعضا ، وكل صاحب مشروع يجد كثيرين ينضمون اليه ويعاونونه . أما السيد له المجد فانه واقف وحده لقد قال منذ عشرين قرنا تقريبا وما يزال يقول حتى الآن : « الحصاد كثير والفعلة قليلون . اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعله لحصاده » (متى ٩ : ٢٨) ليس من ينضم الى السيد في عمله . كل شخص يقول : « أحارس أنا لأخى ؟ » (تك ٤ : ٩) .

سأصف لك يا أخى العزيز بعض حالات رأيته بعيني

★ امرأة فقيرة وزوجها وثمانية أولاد أكبرهم شاب طائش ، والذي يليه فى السن صبى صغير . كل ايراد هذه الأسرة حوالى الأربعة قروش يكسبها الرجل يوميا من بيع الليمون مثلا ، يشتري بها خبزا يتخاطفه الأولاد فى جوع ، ثم تمر عليهم أوقات لا يجدون فيها ما يأكلونه ، فتحمل الأم المسكينة البعض منهم الى ملجأ أو جمعية لتتسول لهم طعاما ، وماذا اذن عن ملابسهم التى لا تستر من جسمهم شيئا ، وكيف يحتملون بهذه الملابس برودة الشتاء وحرارة الصيف ، ثم ماذا عن أجرة حجرتهم وصاحبة البيت التى تهددهم بالطرد وتشبعهم سبا واهانة كلما قصروا فى دفع الايجار .

★ امرأة أخرى أرملة وأولادها ، كانت تعمل فى جمعية دينية كحائكة للملابس مرضت شهرين ، ربما لضعفها بسبب قلة الغذاء ، فكانت النتيجة أن استغنت الجمعية عنها بسبب مرضها . ولما قامت الأرملة الفقيرة من المرض ولست أدري تماما كيف عولجت ،

★ (كلها حالات فى بداية الخمسينات وأواخر الاربعينات .

وكيف دفعت ثمن الدواء !! أقول انها لما قامت وجدت نفسها وحيدة والدنيا مظلمة حولها .

★ أرملة آخر شابة ولها ولدان ، تسكن فى حمام فى بدروم فى حجرة حقيرة فى منتهى الرطوبة ، تدفع ايجارا لها ثلاثين قرشا ، وهى وأولادها مهددة بالسبل وأمراض أخرى ، ومهددة قبل كل ذلك بالارتداد عن الدين وبالفساد والتشرد . وكيف تقنات ؟ تعمل كغسالة ، ولكنها لجوعها ضعيفة الصحة ، لا تقوى على الغسيل ، فلا تجد من يستخدمها .

وهناك حالات أخرى كثيرة ، والسيد المسيح واقف وحده يعتنى بكل هؤلاء . يقيتهم ويجفف الآدمهم ، ويعزيهم ويعلمهم الصبر والاحتمال . وفى كل ذلك يريد أن يشرك معه البعض منا نحن الخطاة فى شرف الخدمة ، ولكنه مع كل هذا ينظر فيجد الحصاد كثيرا والفعلة قليلين ، ويجد الجميع قد انصرفوا كل واحد الى خاصته وتركوه وحده .

من الخاسر فى هذه الوحدة ؟

ليس هو السيد المسيح طبعاً فهو ليس وحده ، لأن الأب معه ، وهو ليس محتاجاً الى عبوديتنا بل نحن المحتاجون الى ربوبيته .

وهو عندما يدعونا أن نقف معه فى وحدته ، إنما يقصد خيرنا نحن بالذات . لأنه « ان كان الرب معنا فمن علينا » والذى يسير مع المسيح سيجد لذة روحية خاصة « تحت ظله اشتهيت أن أبيت » . كما أنه فى صحبة السيد لا يخاف شراً « ان سرت فى وادى ظل الموت لا أخفاف شراً لأنك أنت معي » « وان قام على جيش فقى ذلك أنا مطمئن » عصاك وعكازك هما يعزياننى » (مز ٢٣ ، مز ٢٧)

هوذا المسيح ما يزال واقفاً وحده يقرع على الباب حتى اذا فتحت له يدخل ويتعشى معك وأنت معه .

فهل لا تزال مصراً أن تتركه واقفاً وحده ؟

تأمل في النور والظلمة

« في البدء خلق الله السماوات والأرض .
وكانت الأرض خربة وخاوية ، وعلى وجه العمر
ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه . ثم قال
الله ليكن نور ، فكان نور . ورأى الله النور أنه
حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . دعا
الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا . وكان
مساء وكان صباح يوما واحدا . »

(تك ١ : ١ - ٥)

لم تقل يا رب « لا تكن ظلمة » ، وإنما قلت « فليكن نور » ،
فكان نور ، وبقيت الظلمة ، ووجد الاثنان معا . .
فلماذا لم تقض على الظلمة ، ما دام النور الذي رأيتك كان
حسنا في عينيك ؟ لماذا أبقيتها ؟ ولماذا أعطيتها اسما ؟ ولماذا
سمحت أن يكون لها سلطان ، وقلت « هذه ساعتم وسلطان
الظلام » (لو ٢٢ : ٥٣) ؟!

لماذا لم تجعل الكل نهارا ، والكل نورا ، أيها النور الحقيقي ،
النور الذي لا يدنى منه ؟ لماذا سمحت بأن يكون الظلام موجودا .

وبأن يحبه الناس أكثر من النور ؟ ! كان بإمكانك أن تلغى الظلام
الغاءا فلا يكون ، أو لا تسمح بوجوده قبل أن يوجد • ولكنك
أبقيته على الرغم من أنه لا يتفق مع طبيعتك ! فلماذا ؟

ان كنت قد سمحت أن يعيش الزوان مع الحنطة الى يوم
الحصاد ، حيث يلقي الزوان في النار ، فهل للظلمة أيضا وقت
تنتهي فيه ، ويعيش أبناء النور في النور ، النور الذي لم يستطيعوا
الدنو منه عندما كانوا في الظلام ؟ ولكن أليس حقا أن الأشرار
يخلدون في الظلمة الخارجية ؟ اذن فالظلمة الخارجية خالدة هي
أيضا ! ولكن خارج أورشليم السمائية ، بعيدة عن أولاد الله وبينها
وبينهم هوة عميقة ...

متى وجد الظلام ؟ « كان على وجه الغمر ظلمة » • كان ذلك
في بدء الخليقة كلها ، قبل أن يقول الرب « ليكن نور » ! فمنذ متى
كان الظلام ؟ ..

عندما كان الله وحده في الأزل ، لم يكن هناك ظلام ، لأنه لم
يكن هناك سوى الله وحده ، والله نور • اذن فالظلام حدث •
فمتى حدث ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ أجبتني يا رب فأننى لا أعرف ...

هل كانت الظلمة أقدم من النور بالنسبة الى الخليقة ؟ وما
علاقة هذا بنظرية السديم ؟ بلا شك أن النور كان هو الأقدم •
يقال أن هذه - الظلمة من الناحية الطبيعية - حدثت من فاعلية
حرارة المجموعة الشمسية المنيرة في الغمر ، فتبخرت المياه بكثرة
وسرعة ، ومن كثرة البخار تكون ضباب كثيف جدا حجب نور
السديم ، فصار على وجه الغمر ظلمة •• على أنني لا أريد أن
أهبط الى مستوى هذا التفكير المادى ، انما على أن أتأمل في
النور كما ينبغى ...

« كان على وجه الغمر ظلمة » . اذن كان هناك غمر ، وكانت هناك أرض ، وكانت هناك ظلمة . لم تكن الأرض تعرف الله ، ولا كان الغمر يعرفه ، فهل عدم معرفة الله كان هو الظلمة ؟ عندما كان روح الله يرف على وجه المياه ، والمياه لا تعرفه « النور أضاء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه » ؟ ! ثم قال الله « ليكن نور » ، فكان نور . أكان ذلك النور هو سر تلك الآية الجميلة « السماوات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) ؟

هل هذا هو أول نور دخل الى العالم ؟ ولكن واضح أنه بدخوله لم ينته زمن الظلمة . فلماذا كانت الظلمة اذن ؟ أريد يا رب أن أعرف . فهمنى أنت . أتر عقلي وروحي لأفهم أقوالك المحيية . .

وهناك أنواع من النور : قيل عن الشمس والقمر والنجوم انها نور . وقال الرب لتلاميذه « أنتم نور العالم » . وقيل عن الابن (الاله المتجسد) انه نور من نور ، حل بيننا ورأينا مجده . وقيل عن الآب (الذى لم يره أحد قط) انه نور لا يدنى منه . وقيل عن قبول الانسان لعمل الله فيه انه استنارة . . . والخير عموما يسمى نورا ، والبر يسمى نورا ، والحكمة والمعرفة تسمى نورا .

فى بادىء الأمر خلق الله النور المادى الذى تدركه بالحس ، ورأى الله النور انه حسن . ولكن هذا النوع هو أقل درجة من درجات النور . هناك نور آخر يتدرج فى الخليقة الحية حتى يصل الى الانسان الذى يمكنه بالروح أن يدرك الله ذاته . فما هو كنه النور فى النبات والحيوان بأنواعهما ؟ وما هى درجات رقيهما عن الجماد ؟ وما علاقة كل هذه الخليقة بالله قبل خلق الانسان ؟ وما علاقته به بعد خلقه ؟ الله نور ، يفيض من نوره على الطبيعة فتتير ، وأيضا على العقل والنفس والحس والروح ، فيكون نورها من

فيض نوره ولكن ليس من جوهره . كما أن الله هو الحياة ، وقد أعطى الخليقة حياة ولكنها ليست من جوهره وإنما من فيضه . والله هو عقل وروح ، وقد أعطى الانسان عقلا وروحا ، ولكنهما من فيضه أو من نعمته ... وهكذا .

لماذا رأى الثور أنه حسن ؟ لأنه موافق لطبيعته . فالله نور ليست فيه ظلمة البتة . ان الظلمة ليس فيها الله ، والا أصبحت نورا . والذين يخضعون للظلام ، سوف يلقون في الظلمة الخارجية ، أى خارج نطاق التمتع بالله .

ان كان الله قد فصل بين النور والظلمة ، فكيف دخلت الظلمة الى الانسان ؟ وكيف تأصلت فيه ؟ وكيف أحبها أكثر من النور ؟ انها اسئلة ، اتركها لتأمل كل منا ...



من أول هذه المقالات بعض تأملات منذ سنة ١٩٥٥ وما بعدها .

عندما أجلس إلى ذاتي

• انها يا رب ساعة مباركة ، تلك التي أجلس فيها الى ذاتي .
• ذلك لأنني عندما أجلس الى ذاتي ، انما أجلس معك . اذ أنت في داخلي ، وان كنت لا أراك كما كنت في العالم ، والعالم لم يعرفك .
لذلك يا رب كانت احدي خطاياي الكبرى في العالم ، هي الهروب من ذاتي .

لم يكن لي وقت لأجلس فيه مع ذاتي . وكل وقت كنت تفرغني فيه من المشغوليات والاهتمامات ، وتعطيني فرصة أجلس فيها الى ذاتي ، وأجلس فيها معك ، كنت أنا - لفرط جهلي - أبحث عن مشغولية جديدة أو اهتمام جديد ، لأشغل بها الوقت ! كأن الجلوس الى ذاتي نوعاً من الكسل ! كنت وأنا في العالم أعرف نظرياً أهمية الجلوس الى النفس ، ولكنني من الناحية العملية لم أعر هذا الأمر اهتماماً . أو أن الشيطان لم يسمح لي أن أهتم بذلك . فكنت مشغولاً على الدوام ، مشغولية مستمرة لا تنقطع . . .

من أجل ذلك يا رب ، لم أر الكنز الموجود داخل نفسي ، الذي هو أنت . . .

وعندما كنت أجلس بعض الوقت الى ذاتي ، وأرى ولو شعاعاً ضئيلاً من ذلك الكنز ، كنت أخفيه الى أن أجد وقتاً أطول أتفرغ

فيه له ، كنت أخفيه حتى أذهب أولاً ، وأدفن أبى ، وأرى حقلى
واختبر بقرى !

وأخيراً يا رب ، عندما سمحت لى فى يوم ما لا أستطيع تحديده
تماماً ، أن أجلس الى نفسى تلك الجلسة الطويلة الهادئة ،
واكتشف ذلك الكنز المخياً فيها ، عند ذلك بعث كل شىء واشتريته
ذلك الكنز الذى هو أنت ، فصرت لى . . .

وهأنذا يا رب أعترف لك :

اننى عندما أجلس الى نفسى ، أشعر فى كل مرة أن نفسى أئتمن
من العالم كله « لأنه ماذا يستفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر
نفسه !؟ » .

وعندما أشعر أن نفسى أئتمن من العالم ، يصغر العالم فى عيى
جدا ، وأخذ منك نعمة الزهد فى كل شىء . وعندما أزهى كل شىء ،
أنظر فأجدك أمامى تشجعنى وتقول لى « لا تخف . . . أنا معك » .

وعندما أجلس يا رب الى ذاتى ، واكتشف ما بداخلها ، وأرى
أيضاً ما فعله الغرباء الذين تطاولوا على مقادسك فيها . . . عندما
أرى ذلك ، وأعرضه عليك ، لكى تحفظ من الغرباء نفسى ، عندئذ
تطول بى الجلسة ، وأجد أشياء كثيرة لأقولها لك ولها . عند
ذلك تضوّل أمامى التعزيات البشرية ، ولا أبحث عن الاستئناس
بالناس ، بل بالأكثر أحب الوحدة والخلوة والسكون ، حتى لا
أحرم من تلك الجلسة اللازمة لى جدا ، التى تجلب لى الانسحاق
والنقاوة . وأحياناً يا رب ، عندما أجلس الى ذاتى وأتعمق فى بحثى
داخلها ، أجد فى بعض أركانها حيات وعقارب كامنة نائمة ، أو هى
تحاول أن تأكل حبات قلبى فى صمت أو فى خفية ، وتنفت سمومها
فى دمي وفى فكرى وفى مشاعرى ، دون أن أدرى . . .

وهذه عندما كنت أنظر إليها ، كانت تستيقظ وتلدغ ضميري
وتتعبني . ولكنى كثيرا ما كنت أتركها نائمة حتى لا تتعب نفسى !
ولكن ما الفائدة يا رب فى أن أتركها هكذا ، وأتعامى عنها باحثا
عن نياح نفسانى؟! خداع هو فى الحقيقة ، وهروب من النفس . . .

اليس من الأفضل أن أكشف هذه الحيات وأقاتلها ؟ ارحمنى
يا رب فانى ضعيف ، وشاعر بضعفى وعجزى عن مقاتلة أصغرها .
الأصلح أن أكشفها لك يا رب ، وأنت تقاتل عنى « على رجز الأعداء
تمد يدك وتخلصنى يمينك » .

وعندما أجلس يا رب الى نفسى ، أعرف حقيقتى ، وأدرك اننى
تراب ورماد قدامك ، فتنضع نفسى فى داخلى ، وتشعر بأن مجد
العالم انما هو طلاء خارجى زائف لا يغير من حقيقة النفس شيئا . . .

وعندما أجلس الى ذاتى وأشعر بضعفى ، ألتصق بك بالأكثر .
متأكدا اننى بدونك لا أستطيع شيئا . وكلما ألتصق بك ، تكشف
لى ذاتك ، فأرى أنك أبرع جمالا من بنى البشر ، فأحبك ، وأحب
الجلوس معك أكثر من جلوسى مع سائر الناس . . . وفى كل مرة
أعرف عنك شيئا جديدا ، فتزداد نفسى تعلقا بك . . .

اعطنى يا رب أن أترك الناس ، وانشغل بنفسى ، لأربطها بك .
ثم اعطنى يا رب أن أنسى نفسى ، وانشغل بك . . .

تأملات

اكشف لى ذاتك

لست أنا يا رب الذى أذهب اليك ، لأنى لا أعرف طريقة الوصول جيدا ، عقلى قاصر ، وروحي حبيسة ، وأنا أيضا مربوط الى الجسد . وهناك أشياء كثيرة تعطلنى : منها شهواتى ورغباتى وأيضا يا رب لأنى أحيانا أريد أن أتقرب اليك !!

ثم أنى يا رب ، مشغول عنك ! لدى اهتمامات كثيرة تعطلنى . وأنا من فرط شقاوتى وجهلى لا أنزع عنى الاهتمامات الباطلة وانما أزيد عليها فى كل يوم شيئا جديدا فتعال أنت يا رب الى اكشف لى ذاتى وافتقدنى - كابن أو كعبد - أنت يا من كلك محبة ، بل أنت المحبة كلها .

لست أنا يا رب الذى أبنى لك بيتا فى قلبى لتسكن فيه ، لأنه « ان لم يبن الرب البيت ، فباطلا تعب البناؤون » من أنا حتى أبنى لك هيكل مقدسا يحل فيه روحك عندى ؟ أنت يا رب تبنى أورشليم . فتعال ولا تنتظرنى ، اذ قد يطول انتظارك ولا أجيء

ليس بجهدى يا رب ، ولكن بمعونتك ، ليس بقوتى ، ولكن بنعمتك . أنا من ذاتى لا أستطيع أن أعرف ، لكن أنت تستطيع بمحبتك أن تكشف ذاتك لى .

وأنت لا تكشف لى ذاتك ، ان لم أحبك . ولكن كيف أحبك ان لم تكشف لى ذاتك . اكشف ذاتك لى حتى ينمو حبنى لك .

لأنى كلما أرى فيك شيئاً جديداً ، يزداد حبى لك بالأكثر ، وتتوطد
علاقتى بك . ان كيف يمكن أن يحب الانسان بمحبة حقيقية كائنا
ان لم يعرفه ولم يره ومعلوماته عنه غامضة ؟ !

فاكشف لى ذاتك اذن ، لأن هذا هو المصدر الوحيد الذى
أعرفك به معرفة حقيقية : ليس عن طريق الناس أو الكتب ، بل
معرفة الذى رأيناه بأعيننا ولستاه بأيدينا ...

اننى لا أستطيع أن أعرفك معرفة كاملة عن طريق الكتب أو
عن طريق الناس الذين عرفوك ، اذ أن هؤلاء أيضاً لا يستطيعون أن
يعبروا عما رأوه فيك من صفات لا ينطق بها ، ولا يقوى لسان أن
يتحدث عنها . بل كل ما يستطيعونه أنهم يشوقون السامع أو
القارئ بقولهم : « تعال وانظر ما أطيب الرب » أما أن يوضحوا
حقيقتك فليس بإمكانهم !

ولكن ان كشفت لى ذاتك يا رب ، فكيف أستطيع أن أرى
وجهك بينما بدون القداسة لا يعاين أحد الرب ؟ ! والقداسة أمر
ليس فى امكانى ، فقد كثر الذين يحزنوننى واعتزوا أكثر منى ،
وأنا ضعيف أمامهم جميعاً : أمام العالم والجسد والشيطان ، وأمام
الرغبات والشهوات والأفكار .

كثيراً ما أسقط ، وكثيراً ما أزل . والقداسة حلم أشتهيه
ولكن أين لى به ! فهل معنى هذا أننى سوف لا أراك ؟ ... اعطنى
يا رب نقاوة القلب التى بها أرى وجهك . انضح على بزوفاك
نأطهر . اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج .



محبية الطريق

- لماذا أصلى ؟ ولماذا أصوم ؟ ولماذا أختلى ؟ ولماذا أقرأ ؟ ..
- هل لكى أصبح رجل صلاة ، أو رجل صوم أو خاتمة أو معرفة ؟
- هل أحب أن أكون عابدا ؟ هل العبادة شهوة مستقلة فى نفسى لها غرض خاص ؟
- هل أريد أن تكبر نفسى ، أو أن أكبر فى عيني نفسى ، عن طريق النجاح والنبوغ فى هذا الطريق ! ؟
- هل أنا مهتم بذاتى : ماذا أكون ؟ وكيف أكون ؟ ومتى أكون ؟ وكيف أتطور الى أفضل ؟ ...
- هل أنا أحب الله ذاته ، أم أحب الطريق الذى يوصل اليه ؟
- هل أنا مثلا أحب الصلاة ، أم أحب الله الذى أصلى اليه ! ؟
- اننى ألاحظ فى نفسى أحيانا أخطاء كثيرة :
- عندما أكمل مزاميرى أفرح : لا لأنى تحدثت مع الله ، وإنما لأننى راهب ناجح فى القيام بقانونه وواجبه فى العبادة !! وعندما لا أستطيع أن أصلى مزاميرى جميعها ، أحزن : لا لأنى فقدت متعة التحدث مع الله ، وإنما لأنى راهب فاشل !! وهكذا أيضا فى صومى ، وفى سهرى ، وفى قراءاتى ... !
- المسألة اذن شخصية بحتة . هى أنانية واضحة . أريد فيها أن أكبر فى عيني نفسى على حساب صلتى بالله .. ؟

متى يأتى الوقت الذى لا أصلى فيه مزمورا واحدا ، ومع ذلك
أكون سعيدا لانى على الرغم من ذلك كنت ثابتا فى الله عن طريق
آخر من العبادة •

هل انا أصلى من أجل لذة وممتعة الحديث معك ، وحلاوة
الوجود فى حضرتك ، أم من أجل أن أكتسب فضيلة أصل بها الى
الحياة الأخرى ؟ أم أننى أصلى لكى أتحدث معك حديثا أطلب فيه
تلك الحياة ؟

هل الصلاة فى نظرى هدف فى ذاتها أم مجرد وسيلة ؟

ان كنت أثور على انسان عطل خلوتى وصلاتى ، ومن أجل
الصلاة والخلوة ، أفقد سلامى الداخلى ، وأفقد سلامى مع الناس ،
وبالتالى يتعكر قلبى وافقد سلامى مع الله أيضا ، اذن فقد أصبحت
الصلاة هدفا لا وسيلة ، وفى سبيل هذا الهدف قد انحرف
وأخطيء !!

ان العبادة هى مجرد طريق يوصل الى الله ، ولكن الهدف
هو الله ذاته • والمحبة طريق ، والخدمة طريق ، ولكن واحدا هو
الهدف ، أعنى الله • • لماذا اذن نفقد الله من أجل المحافظة على
الطريق الذى يوصل اليه ؟ ! ومن أجل أن يكون هذا الطريق
فى الوضع الذى نشتهيهِ ؟ !

فلنحب الطريق لا لأنه شهى فى ذاته - وحقا هو شهى - ،
وانما لأنه يقودنا الى الله • ولنسرع فى الطريق ونعبره بسرعة
لنصل اليه •

والكمال هو أن يكون طريقنا الى الله ، هو الله • لأنه ذاته • •
هو الطريق •

* * *

اتركيني الآن

« هذه المقالة ليست لكل أحد ،
انها درجة روحية معينة ، الذين هم
أقل منها ، لا يفتفون بها ، »

• هو ذا أنا هكذا يا رب أتدخل باستمرار فيما لا يعنيني
لست أقصد التدخل في شئون غيري من الناس ، كيف يتصرف ،
وكيف تتصرف أنت معه - ولو أنني أقع كثيرا في هذا الخطأ -
وانما أقصد تدخل في شئون نفسي • بينما هي أمور لا تعنيني أنا
بقدر ما تعنيك أنت ! ...

نفسى ليست ملكى ، وانما هي ملكك ، اشتريتها بدمك
الكريم فأصبحت لك • وليس لى بعد أن أتدخل في شئونها ، لأنك
أنت تدبرها حسب مشيئتك الصالحة الطوباوية •

• على اذن أن أنظر وأمجده •

متى يأتى الوقت الذى لا أتدخل فيه في شئون نفسى ، وانما
أتركها لك : حيثما تسيرنى أسير ، وكيفما تصيرنى أصير ؟ متى
أرضى بحالتي التي أرتضيتها أنت لى ، فلا ألع عليك في تغييرها
كأنك غافل عن صالحى !؟

متى تتحول صلاتى من طلب الى شكر ؟ او متى أبحث عن
شئ اطلبه فلا أجد ، لانى لست أجد شيئا خيرا لى الآن مما انا فيه ؟ ••

متى يأتي الوقت الذي يصبح فيه عملي الوحيد هو ألا أعمل شيئاً ، وإنما أترك نفسي في يديك وأنساها هناك ، ولا أنكر إلا هاتين اليدين اللتين جبلتاني وصنعتاني واللتين كنت تضعهما على كل واحد فتشفيه .

متى أوَسِّن بك الأيمان كله ، فأستأمنك على حياتي تدبرها كيف تشاء ، أنت يا صانع الخيرات ، دون أن أقحم نفسي في عملك هذا ، وأتخلص متجسسا عليك لأرى ماذا تعمل بي !! وكيف تعمل !! وهل عمك مقبول أم لا !! وهل يستدعي الأمر تدخل مني أم لا يستدعي ؟ !

أه يا رب كم أنا وقع في تصرفي معك ! جاهل أنا وأتدخل في أعمال حكمتك محاولاً أن أوقفها لأنفذ مشورتي الغبية !! كم يكون أحكمني لو أنني سكت وأخذت منك موقف المتفرج لا موقف الشريك . اذن لكنت أرى عجائب من حكمتك . . .

اننى يا رب أفكر كثيرا في ذاتي ، ولا أفكر ولو قليلا فيك . اننى أثق كثيرا بذاتي ، ولا أثق ولو قليلا بك . ذاتي هي صنمي ، متى يتحطم لكى أعبدك العبادة الحقة ؟ ان كنت لا أحطم بنفسى هذا الصنم لكونه جميلا فى عيني ، أو لكونه محبوبا لدى جدا ، فتقول أنت يا رب تحطيمه ، وعند ذلك لا يبقى لك منافس فى قلبى فأحبك ، ولا يبقى لك منافس فى ايمانى فأعبدك . لو كنت يا رب أفكر فيك بقدر ما أفكر فى ذاتي ، ولو كنت أعتمد عليك بقدر ما أعتمد على مقدرتى الخاصة ، ولو كنت أحبك بقدر ما أحب نفسى ، اذا لأصبحت مثل اولئك القديسين الذين انكروا انفسهم ليعرفوك .

متى تعتقنى يا رب من ذاتى ؟ متى ؟ لا لكى أصير قديسا ، وإنما لكى أجذك .

متى تخرج من الحبس نفسى ، وتطلق عبدك بسلام ؟ متى
أضيع ذاتى من أجلك لكى أجلك ؟ وحينئذ أجدها فيك . متى أهلك
ذاتى من أجلك ؟ اذن لكانت تحيا بك . متى أنظر الى ذاتى فلا
أجدها ، وانما أجدك أنت ، متى أنظر اليها فأراك ؟ ومتى أنظر الى
العالم فأراك ؟ والى الناس فأراك ؟ وتصبح أنت لى الكل فى الكل
وليس سواك .

هى تبيد وأنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها
فتتغير . ولكن أنت أنت ورسنوك لا تفنى .

قالوا لى : « اعرف نفسك » . وقالوا لى : « أدخل الى ذاتك » .
أه يا رب هى ذاتى هذه سبب متاعبى كلها . . متى أدخل اليها
فلا أجدها ؟ ! . .

كم مرة نظرت الى ذاتى فوجدتها معلقة على الصليب بلاحرار .
فلما أمعنت النظر اليها ، أبصرتك أنت ، وفرحت . لم أفرح بذاتى
لأنها ورثت الملكوت وانما فرحت بك لأنى وجدتك .

ويخيل الى أننى سوف لا أجدك فى كل مرة الا هناك فى وادى
ظل الموت ، لاننى ان سرت فى وادى ظل الموت فأنت معى . لقد
خلقنا للحياة ، ولكننا بخطيتنا اخترنا لنا الموت ، فاذا بك أنت
البسيط الذى كل شىء طاهر قدامك ، تقدر الموت وتجعله لنا
بابا للحياة !! بل هو الباب الوحيد للحياة . « من وجد نفسه
يضيعها ، ومن أضاع نفسه من أجلى يجدها » . « أنكر ذاتك
واحمل صليبك واتبعنى » .

فى السنة الأولى من حياتى الرهبانية قرأت لقديسيك ان
الرهبنة هى انحلال من الكل للارتباط بالواحد . فعلى قدر استطاعتى
حبست نفسى عن العالم والناس . ولكن هذا لم يوصلنى الى

الارتباط بك • لاننى لم ادخل الى الوحدة من أجلك ، وانما من أجل
نفسى • اما لترضى هى عن ذاتها ، أو ليرضى الناس عنها •

لكننى فى السنة الثانية عرفت معنى الانحلال من الكل بتفسير
آخر ، وهو الانحلال من نفسى • لاننى أجعلها بالنسبة الى الكل
فى الكل •

وفى السنة الثالثة أى معنى سأعرفه لهذه العبارة ؟ لست
أدرى • ليتنى أكون قد نسيتها ، ونسيت التفكير فى معناها ، من
فرط الانشغال بك •

كنت أقول عن اجتماعى بالاخوة ، أننا باجتماعنا معا على
الأرض هنا نعطل أنفسنا عن الانشغال بالله ، وربما نتسبب بذلك
فى عدم اجتماعنا كلنا هناك معه فى الأبد • وأريد الآن أن أقول
ان اجتماعى بنفسى هو الذى يعطلنى بالأكثر •

اننى اشعر أننى محتاج ، بين الحين والحين ، كلما أدخل الى
نفسى ، أن أقول لها : « أتركينى الآن ، فهذا خير لنا » أتركينى
لكى أدخلو بالله ، وبهذا أستطيع أن أتمتع بوعده من أن تثبتى
فيه ، • فأجلس - لا مع ذاتى وانما مع الله الحال فى ذاتى •



ربنا موجود

أنت يا رب موجود ، يحس الضعفاء وجودك فيتعززون ، وأن تذكر الأقوياء وجودك يرتعشون . لذلك فعبارة « ربنا موجود » تبهج وترعب ، تعزى وتكدر .

ولكن على الرغم من وجودك ، فإن كثيرين لا يحسونه ، وهكذا صاح سليمان الحكيم قائلاً : « ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجرى تحت الشمس . فهذا دموع المظلومين ولا معز لهم . . . » (جا ٤ : ١) فلماذا يا رب تنظر وتصمت !؟

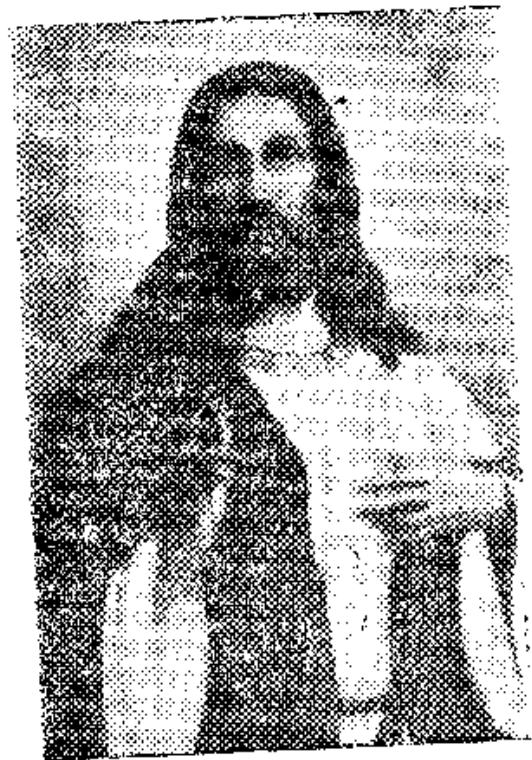
أرنا يا رب رحمتك . اثبت وجودك . لماذا يعيروننا قائلين : « أين الرب الهكم ؟ ! » لماذا تنتظر حتى الهزيع الأخير من الليل ، والتلاميذ مضطربون فى السفينة ، والأمواج شديدة ؟ ! نعم ، لماذا تنتظر ، بينما يقول الكتاب انك تأتى ولا تبطىء ؟ !

أسرع يا رب أسرع . لقد شكى داود من هذا الإبطاء ، فقال : « اللهم التفت الى معونتى ، يا رب أسرع وأعنى . أنت معينى ومخلصى يا رب فلا تبطىء » (مز ٦٩) نحن نعلم أن رحمتك ستأتى ، وأنه ليس لنا أن نعرف الأزمنة والأوقات التى جعلتها فى سلطانك وحدك . لذلك سننتظر كل الوقت ، كما قال المرتل « أنتظرت نفسى الرب من محرس الصبح حتى الليل » . . .

ها نحن يا رب ننتظر ، مؤمنين أنك موجود ، وأنتك لابد ستعمل . وستعمل بقوة ، وبحكمة ، وفى الوقت المناسب الذى

تحدده رؤفآتك غير المحدودة •• ما أجمال قول ربنا يسوع : « أبى يعمل حتى الآن ، وأنا أيضا أعمل » ••• فأعمل يا رب اذن ، اعمل من أجل محبتك للعدل وللصلاآ • واعمل من أجل أن يطمئن الناس ، فيسلموا حياتهم فى يديك ، ويتأملوا عملك وهم صامتون ، أو يتأملوا عملك وهم يتشدون تلك الأغنية الجميلة « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » •

بل هم يتأملون عملك ، فيتغنون وهم معلمئون «ربنا موجود» ، نعم حقا : « ربنا موجود » •••



كتب هذا المقال ونشر سنة ١٩٦٥ •

من تكون؟

وهدوء يكشف السر المصون
غير وجه الله ذى القلب الحنون
لم يعاودك الى الكون الحنين

كل ما هو لك صمت وسكون
اعتزلت الناس حتى ما ترى
وتركت الكون بل أنسيته

* * *

يشتهى المتعة فيه التافهون
كل ما فيه سيفنى بعد حين
يتلظى بلظاه الآملون
أنت روح فر من تلك السجون

هل ترى العالم الا تافها
كل ما فيه خيال يمحي
هل ترى الآمال الا مجمرا
لست منهم . هم جسوم بينما

* * *

ويقول البعض كلا بل جنون
مثلما شاء الهوى يفتكرون
منهج مختلف يضطربون

قد يقول البعض هذى حكمة
فاترك الناس الى أفكارهم
لك نهج مفرد والناس فى

* * *

أنت حسن تتشهاه العيون
نزدري الآمال والكون يهون
اشتهدى الخالق يوما أن تكون
يسكب النشوة فى القلب الأمين

يا شبيهه الله قدنيه لنا
أنت رمز كلما نبصره
أنت رمز لحياة طهرت
أنت لحن الروح يسرى هادئا

* * *

أنت سر لبت شعرى من تكون
أى شىء فيه لى غير الظنون
يجتلى الأعماق فى صمت رصين
قدس أقداسه الا الصامتون

أنت قلب هائم فى حبه
أنت سر لست أدرى كنهه
أنت روح سابح فى عمقه
ان فى صمتك سرا لن يرى

أبواب الجحيم

كم قسا الظلم عليك
 كم صدمت باضطهادات
 كم جرحت كيسوع
 عذوبك وبنيتك
 ورميت بأكاذيب
 عجيبا كيف صدمت
 هو صوت ظل يدوي
 يشعل القوة فيك
 ان أبواب الجحيم

* * *

لست في أرض ولدت
 أنت من روح طهور
 أنت حق أنت قدس
 لك حقا ابتداء
 ان سنلنا عنك قلنا
 من رواك؟ هل رواك
 من حماك؟ هل حماك
 فاطمئني واستريحى
 ان أبواب الجحيم

* * *

قد ولدت في السماء
 لست من طين وماء
 أنت نور وضياء
 انما ليس انتهاء
 ألف أنت وياء
 غير ينبوع الدماء؟
 غير أقنوم الفداء؟
 انما المصلوب معك
 سوف لا تقوى عليك

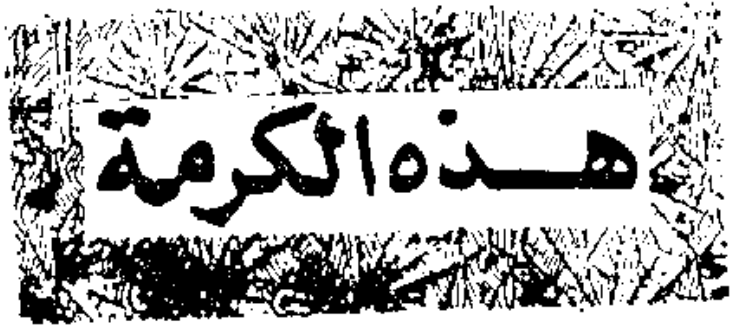


فهو بالخبرة يعلم
 حركت المقطم
 واذا شئت تحطم
 قلب التاريخ تفهم
 ان رب القبط أعظم
 انما فى الحق ضيغم
 بالدين قد داس جهنم
 فان الروح أكرم
 قائلًا فى غير شك
 سوف لا تقوى عليك

اسألنى عهد المعز
 اسأليه كيف بالايمان
 جبل قد هز منك
 أيها الناسى رويدا
 قل لمن يدعى عظيما
 كل قبطى وديع
 لا يخاف الموت اذ
 وهو لا يهتم بالجسم
 وهو يعطى الروح أيضا
 ان أبواب الجحيم



نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٦ .



نظمت هذه القصيدة

فى سنة ١٩٤٨ .

صلاة:

هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك
نبتت من شوكة كانت على طرف جبينك
ورواها دمك القانى وسيل من جفونك
ورعاها حبك الصافى وذاقت من حنينك
فنمت فى جنة الايمان تحيا فى يقينك
ومضت تحمل للأقباط من أثمار دينك

* * *

غير أن الريح يا مولاي قد طاحت بغصن
شربت طيره فى الكرمة من ركن لركن
طار لا يشدو ولكن شاكيا من ذا التجنى
أنت يا من قلت من يمسسكموا قد مس عيني
فرح الأطييار فى الكرمة وامح كل حزن
واصلح الأمر فهذا الغصن من أقوى غصونك
هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك

* * *

ليس لى يا خالقى الجبار أن أفهم قصدك
فغيبى أنا يا قدوس والحكمة عندك
غير انا قد تركنا من لنا يا رب بعدك !؟
ليس الا وعدك الماضى فهل تذكر وعدك ؟



أنت لا تنساه مهما نسي الكرام عهدك
كيف تنسى أبرام مختارك أو يعقوب عبدك ؟
كيف تنسى الحب والاشفاق أو ماضى حنينك
هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك

* * *

نحن منقوشون فى كفك لا نخشى اضطرابا
نحن أخطأنا ولكن سوف لا نغنى عقابا
هوذا الرحمة تنصب من الآب انصبابا
كلما نغلق بابا تفتح الرحمة بابا
آه يا مولاي يا من عرف الخنل شرابا
شعبك المسكين يا قدوس قد قاسى العذابا
أنظر الكرمة بعد الخصب قد أمست خرابا
واشرفق اليوم عليها فهى لا تحيا بدونك
هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك

أبطالك

الى الابطال الذين أدركوا سر
الحياة الحقيقية فهتفوا مع القديس
بولس « لى الحياة هى المسيح والموت
هو ربح . لى اشتها ان أنطلق
وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدا » .

وهزأتم بالطغاة الملحدين
قد سكنتم فى سماء الخالدين
بيسوع هز عرش الكافرين
قدوة تبقى على مر السنين
مذبح الحق جريئا لا يلين
مر بالدنيا مرور الزائرين

* * *

فى ثبات أدهش الكون مداه
هل رأيتم فيه اكليل الحياة ؟
فى انتظار، فاستبقتم للقاء ؟
قد دعاكم فاستجبتم لدعاه ؟
ونسيتم كل شىء ما عداه ؟
راح يهوى فاصطفقتم لحماه ؟
نستطع حسبناكم فى المائتين
قد سكنتم فى سماء الخالدين

* * *

تلتم الأمجاد فى دنيا ودين
لم تموتوا أيها الأبطال بل
لم يمت من قاوم الكفر ومن
لم يمت من صار باستشهاد
لم يمت من قدم الروح على
لم يمت كل غريب ههنا

عجبا كيف صمدتم للطغاة
أى شىء حبيب الموت لكم
أم بصرتم بيسوع واقفا
أم سمعتم مثل همس الوحي من
أم تذكرتم صليب الناصرى
أم تخيلتم عمود الدين قد
أيما قد كان داعى الموت لم
لم تموتوا أيها الأبطال بل



كيف جاء تكم جموع الشهداء؟
أيها العزل في ساح الدماء؟
لم يلق يوما بأبناء السماء؟
ودعاء مستجاب ورجاء
يرجع الموتى ويشفي الضعفاء
أظلم الكون وقل الأتقياء
يخفق القلب ويدعو في حنين :
قد سكنتم في سماء الخالدين

هذه القوة في غير انتهاء
أي سيف قد تسلحتم به
هل رأيتم في دروع الأرض ما
تسلحتم بقلب طاهر
وبأيमान قوى قادر
ألهمونا بعض تقواكم فقد
وبقيننا كلما نذكركم
لم تموتوا أيها الأبطال بل



نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٧ .

وَأَبِ أَنْتِ . . .

« ألقىت هذه القصيدة في حفلة
القائمين التي أقامتها اللجنة العليا
لمدارس الاحد في يوم الاربعين
لانتقال طيب الذكر المتنيح حبيب
جرجس » (الموافق ٢٨ سبتمبر
سنة ١٩٥١) .

هذه دنياك : أشواك و صلب
أنت أبهى من رسول ، أنت قلب
عاش جيل كامل أو عاش شعب
أنت عطف أنت رفق أنت هيب
عشنا بالحب على صدرك نحبو
لك فوق الكل يا قديس رب

* * *

ووديعا ليس في ذاته ضعف
كنت تنسى الشر للجاني وتعفو
زجره حب وفي صوته عطف
ولسان أبيض الألفاظ عف
تذكر السوء اذا ما حل وصف
تصلح الأعوج والأكدر يصفو
لك صدر واسع الأرجاء رحب
عشنا بالحب على صدرك نحبو

* * *

هذه تقواك : ايمان فحب
أنت ، من أنت؟ رسول ههنا؟
أنت قلب واسع في حضنه
أنت نبع من حنان دافق
وَأَبِ أَنْتِ وَنَحْنُ يَا أَبِي
لك أبناء كثار انما

يا قويا ليس في طبعه عنف
يا نبيلًا كلما عوديت كم
يا حكيما . أدب الناس وفي
لك أسلوب نزيه طاهر
لم تنل بالذم انسانا ولم
انما بالحب والتشجيع قد
هكذا كنت حبيبا شائعا
وَأَبِ كُنْتَ وَنَحْنُ يَا أَبِي



يمتلك من قنية الدنيا حطاما
 وازدرى المال ولم يبد اهتماما
 خير أقداسه فأظلم اظلاما
 ورعاة جمعوا المال حراما
 من رضيع لم يوفوه قطاما
 ان أغنى الناس من عاشوا اكراما
 انما التخزين والتكويم عيب
 عاش بالحب على صدرك يحبو

يا فقير عبر الدنيا ولم
 عرض المال عليه فأبى
 فى زمان زهف المال الى
 أنت أغنى من ملوك ورثوا
 خطفوه من قم الجوعان بل
 زاهدا عشت كريما فاضلا
 ليس عيبا أن تولى هكذا
 أنت أغنى ببنين كلهم

* * *

فى نعيم الله فى حضن الجدود
 واللحن ينساب مع القلب الودود
 مقدس الأبرار فى المجد العتيد
 كنت أيضا فى مماتى كالشهيد
 نعمة الله لذا النشء الجديد
 يحملون العبء فى جيل عنيد
 اننا أهل وأحباب وصحب
 عشنا بالحب على صدرك نحبو

فى سلام القلب نم فى راحة
 واسمع الأنغام من داود
 واشهد استيفانوس الشماس فى
 قل له قد عشت فى نهجك بل
 قل لأبائى صلوا واطلبوا
 أنكروهم اننى خلفتهم
 هكذا كن مثلما كنت لنا
 وأب أنت ونحن كلنا

أغلق الباب

أغلق الباب وحاجج فى دجى الليل يسوعا
واملاً الليل صلاة وصراعا ودموعا

أيها الحائر يا من تهت فى فكر عميق
تسأل الناس وتشكو صارخا أين الطريق
هل وجدت الحل يا مسكين والقلب الشفيق
هل أزال الناس ما عندك من هم وضيق؟!
يا صديقى : سوف لا يجديك فى الدنيا صديق
ليس عند الناس رأى ثابت شاف يليق
فحاول لفريق ضد آخرى لفريق

انما عندى علاج قد خبرناه جميعا
أغلق الباب وحاجج فى دجى الليل يسوعا
واملاً الليل صلاة وصراعا ودموعا

* * *

أيها المصلح يا من تملأ الدنيا لهيبا
تائرا للحق والاصلاح محتدا غضوبا
كم لقيت العنت والتجريح والقول المعيبا
تحمل اليوم صليبا وغدا أيضا صليبا
يا صديقى : ان مضى الوقت نزاعا وحروبا
واستمر الحال مثل الأمس صعبا وعصيبا
فادخل المخدع واركع واسكب النفس سكبيا
قل له اشتدت وضاقت فافتح الباب الرحيبا

قل له يا رب انى عاجز لن أستطيعا
واعرض الأمر وحاجج فى دجى الليل يسوعا
واملاً الليل صلاة وصراعا ودموعا

وماذا بعد هذا؟

أهدى هذه القطعة الى صاحبها ،
الى السيد المسيح الذى أتحدثنا بقصة
الغنى الغبى ، والذى أوحى الى
سليمان بسفر الجامعة . (نظمت
سنة ١٩٤٨) .

وأجمع فضتى وأضم تبرى
بأثمار وأطيار وزهر
وأطرب مسمعى من كل طير
وأنعم فى رفاهية وخير
أقدم فيه قربانى وشكرى
سألقي الموت مهما طال عمرى
سأترك كل أموالى لغيرى
وأرقد مثله فى جوف قبر
ولا تفريق بين غنى وفقير

* * *

وأحيا مثلما تشستاق نفسى
وتشرق فى سماء المجد شمسى
وأحسب كل تاج فوق رأسى
ويحتفل الوجود بيوم عرسى
وأصبح وسط تمجيد وأمسى
وأهمل كل ترتيل وقدس
سيجرى ضائعا يومى كأمسى
وأرقد مثله فى جوف رمس
ولا تفريق فى مجد وبؤس

* * *

سأهدم فى المخازن ثم أبنى
وأغرس لى فراديسا كبارا
وأقطف وردة من كل غصن
وأسعد بالحياة ومشتهاها
وأبنى معبدا للمال ضخما
وماذا بعد هذا ليت شعرى؟
وهذا المال يا ويحى عليه
وأفنى مثل مسكين فقير
ونسمة قبره ستهب حولى

سأسكن فى قصور شاهقات
وأرقى مثلما أبغى وأعلو
أسير فتشخص الأبصار نحوى
وتحنى هامها الدنيا خضوعا
وتهتف كل حنجرة باسمى
وأملأ ساحة الدنيا غرورا
وماذا بعد هذا ليت شعرى؟
وأفنى مثل صعلوك حقير
ونسمة قبره ستهب حولى

وأجلس فوق عرش العلم وحدي
وأبني من جلال العلم مجدي
ولا ألقى على الأيام ندي
ويأتي نكرهم في المدح بعدي
وتخشي دولة الأقلام نقدي
فترتج الجامع حين أبدي
أحقا ثروة الأفكار تجدي ؟
وأرقد مثله في جوف لحد
تماما مثلما ستهب عندي

* * *

وأختار الطروب من الصحاب
وأجرى مسرعا خلف السراب
وأفخر بالمجون وباصطحابي
وأسقط بيت ربي من حسابي
وأسعد بالكؤوس وبالشراب
وأرفض كل نصح أو عتاب
سوى ذل وفقر واضطراب
وأرقد مثله تحت التراب
تمجده وتسخر من شبابي

* * *

وماذا نلت ويحي من ضلالي ؟
تبدى مثل قصر من رمال ؟
وقد أيقنت من سوء المال ؟
وهل جاهي سيمنع من زوالي ؟
واثم ليس فيه من حلال !

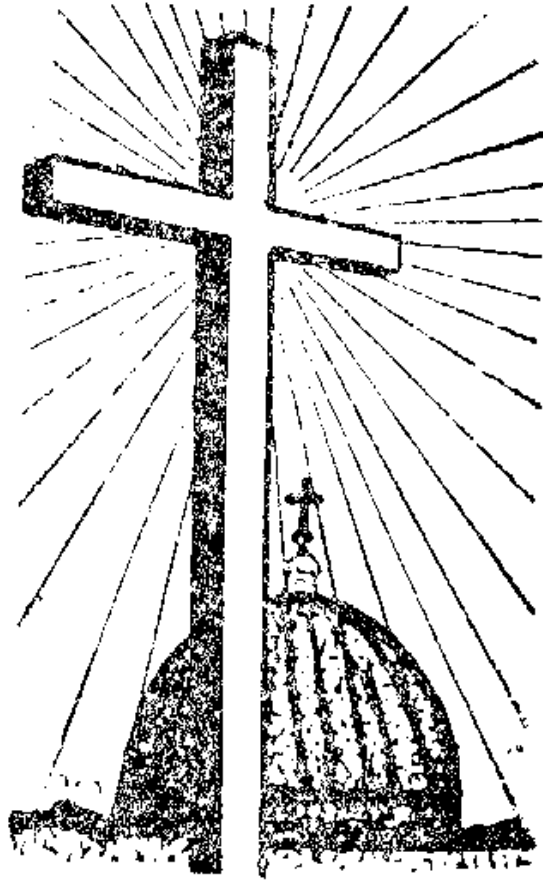
سأقضى العمر في جد وكد
وأصبح مرجعا في كل فن
وأغدو قبلة في كل ناد
يسير أعظم العلماء خلفي
وترفع دولة الأبحاث قدري
وأبدي الرأي في ثقة بعلمي
وماذا بعد هذا ليت شعري ؟
سأفنى مثلما يفنى جهول
ونسمة قبره ستهب حتما

سأقضى العمر في لهو الشباب
وأترك كل نبع للمسحح
وأصطحب المجون طوال عمري
وأنفق كل يومي في الملاحى
وأطرب بالأغاني عابثات
وأشبع مهجتي من كل طيش
وماذا بعد هذا ليت شعري ؟
وأفنى مثلما يفنى عفيف
ونسمة قبره ستهب حولى

فماذا نلت من علمي ومالي
وماذا نلت من مجد كذوب
وما جدوى حياة سوف تفنى
وهل في المال عمر بعد موت
ضلال كله لا خير فيه

ووافخرا لقس فى القلالى
عن الدنيا وعن صحب وآل
ولا يصغى الى قيل وقال
قصورا غير بيت فى الأعالى

فوا مجدا لسكان البرارى
ويا طوباه من يحيا غريبا
فلا يهتم ان جاءت وولت
ويحيا مثل ضيف ليس بينى



نظمت هذه
القصيدة في
سنة ١٩٤٦



أُعل هذه الافكار كانت تجول
بذهن يوسف ، أو تتوالت على شفقتيه ،
وقد أمسكت سيدهته بثوبه . . .

هوذا الثوب خذيه	ان قلبي ليس فيه
أنا لا أملك هذا	الثوب بل لا ادعيه
هو من مالك أنت	لك أن تسترجعيه
فانزعي الثوب اذا	شئت وان شئت اتركه
انما قلبي لقد	اقسمت ألا تدخليه
أنا لا أملك قلبي	وكذا لن تملكيه
انه ملك لربي	وقد استودعني
عبثا قربك منه	هوذا قلبي اسأليه

* * *

زوجك الغائب قد أعهدني مالا وعرضا	بل وقد ملكني في
بيته طولا وعرضا	انه عهد وثيق
كيف أهوى فيه نقضا	واذا ما كنت خوا
نا أخون العهد فرضا	كيف أعصى الله ربي
وبهذا الشر أرضي	ناسيا عقلي وديني
طارحا تقواي أرضا	فابعدني عنى دعيني
ان أخلاقك مرضي	



أى فخر لك فى ثوبى وقد اخلعتنيه
هوذا الثوب خذيه ان قلبى ليس فيه

* * *

اه لو تدرين ما أعلم عن ابرام جدى
قصة الطاعة والمذبح والابن المهدى
طاعة غنى بها العا لم من عهد لعهد
طاعة أورثتها قد أصبحت عنوان مجدى
طاعة لله لا للشرا ان الشر يردى
طاعة للروح لا للجسم ان الجسم عبدى
سأطيع الله حتى لو أطعت الله وحدى

كيفاً عصى الله منقأ دا لذا الشر الكريه
هوذا الثوب خذيه ان قلبى ليس فيه

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٩



الكمومة

في ارتياح ما شكوت أو وهنت
قد ضمنت الطفل حيا واحتضنت
وكذا في قلبه الغض سكنت
ما احتجزت منه شيئا أو ضننت
أي حسن انما دنياه أنت
أنت نبع من حنان حيث كنت

نام في أمن ولكن قد سهرت
ما تركتيه على مهده بل
قد وهبتيه فؤادا خالصا
كل ما عندك مقروك له
لم يجد في الكوز أو أماله
أنت يا أماه سر غامض

* * *

قارعا دوما على باب الضلوع
يبتغيه في اشتياق وولوع

ان لي طفلا هو الطفل يسوع
له في أعماق قلبي مذود

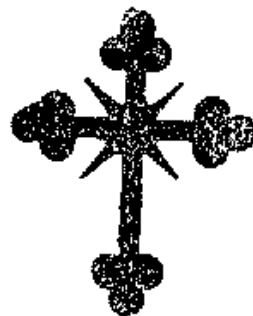
كم دعوت الطفل فى قلبى وكم
غير أنى جاحد فى حبه
وأرى الشيطان فى اغرائه
ليت لى يا أم قلبى مثلك
كم خزنت العطف فى قلبك هل
أنت فى العالم سر غامض

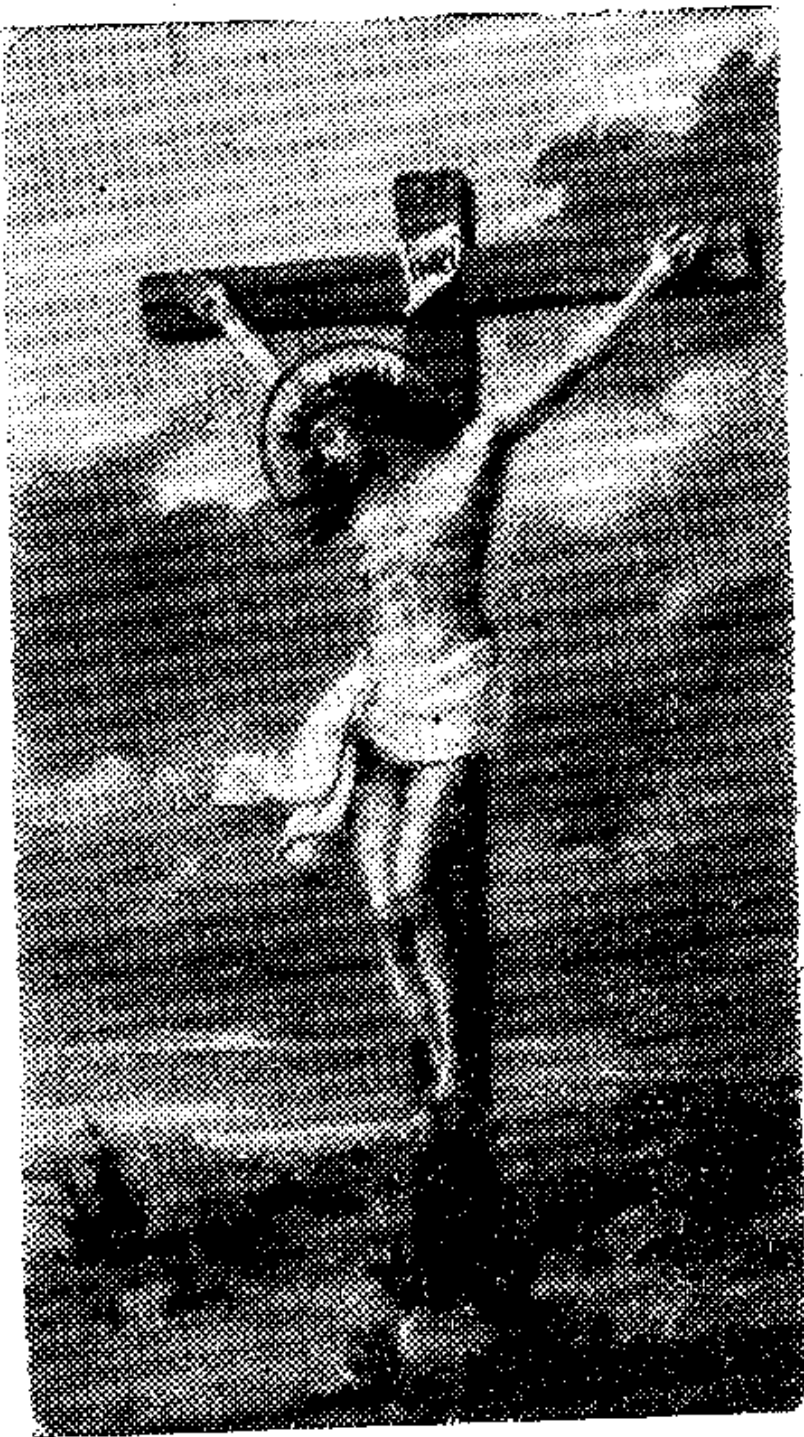
* * *

املئى الكون حنانا وحنينا
حديثنا عن هوى الأم وعن
وانكبرى العذراء فى عليائها
كيف ناءت من شكوك مرة
كيف حلت مزودا محتقرا
كيف جاءت مصرنا هاربة
كيف لاقت ابنها المحبوب فى
ايه يا عذراء كم جربت فى
أنت يا أماه سر غامض

نال منى كل حب وخشوع
كلما اشتاق يثنينى الرجوع
فينادى القلب: ويحى هل أطيع؟
ظاهرا يشفق بالطفل يسوع
تمنحيني البعض مما قد خزنت
أنت نبع من حنان حيث كنت

واسمعينا عن خفاياك أسمعينا
قلبها الحانى حديث العارفين
كمثال رائع اذ تذكرينا
وهى تحوى ربنا الفادى جنينا
كيف قاست ذلة الفقر سنينا
بيسوع من سيوف الذابحين
غمرة الآلام مصلوبا حزينا
مهجة الأم فأى الناس أنت
أنت نبع من حنان حيث كنت





من الحنان باراباس

أخطأت أُمي وأصغت لندائها
قطفت أُمي حراما من جناها
أنا من شرذمة في الشر وتائها
أنا ابن الأرض أصلي من ثراها
عبدك الآثم من يعصى الالهة
وأنا الخاطيء حر اتباهي
وحنان قد تسامى وتناهى

أنت لم تنصت الى الحيه بل
أنت لم تقطف من الجنة بل
أنت قدوس طهور بينما
أنت عال في سماء انما
أنت رب والله وأنا
فلماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها

* * *

وعلام كرههم فيك علما
تنزع البغضاء منهم والخصاما
فمألت الكون حبا وسلاما
لأشمل وأبا بين اليتامى
والطريح المقعد اشتد وقاما
شخصك الحانى وزادت فى أذاها
وأنا الخاطيء حر أتباهى
وحنان قد تسامى وتناهى

* * *

صاحب العار الذى لوث نفسه
فى ضلال مثلما ضيع أمسه
نشوة أو سكرة يحفر رمسه
يرتجى الحياة أن تملأ كأسه
كل من فى العالم الناكر قدسه
نفسى الخجلى يغطيها بكأها
وأنا الخاطيء الحر أتباهى
وحنان قد تسامى وتناهى

عجبا يا رب ماذا قد جرى
عشت يا مولاي حيننا بينهم
كنت يا قدوس قلبا مشفقا
كنت رجلا لكسـيـح ويدا
قد أقمت الميت والأعمى رأى
فلماذا قامت الدنيا على
ولماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها

أنا أولى منك بالصلب أنا
أنا من ضييع ويحي يومه
أنا من يسعى الى الموت وفى
أنا ظمآن تولى مسرعا
أيها المصلوب يا من قد رأى
كلما طافت بك العين انزوت
فلماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها



-
- نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٩ .
 - ونظمت القصيدة التالية سنة ١٩٥٠ .



أنا يا نجم غريب ههنا

منذ أجيال لطفل المذود
وشريد ليس لي من مرشد
ذلك الهادي الذي يهدي يدي
واتركني في خشوع العابد
ركع حول يسوع سجد

* * *
لم نجد يا نجم من حصن لنا
يغفر الماضي ويخفي اثمنا
أو غزا طيش الهوى البائنا
وسئمنا ذات يوم حرينا
زرعنا النامي وهزت غرسنا
أيها النجم الذي أرشدتنا

منذ أجيال لطفل المذود

أيها النجم الذي أرشدتنا
أنا يا نجم غريب ههنا
قد ضللت الله دهرا لم أجد
فأرشد القلب الى مزوده
بين أملاك بهي شكلم

* * *
نحن في الدنيا ضعاف عزل
غير وعد بمسيح منقذ
كلما انقادت الينا شهوة
كلما اشتدت علينا ضربة
كلما هبت رياح فاجتنت
يسرع القلب ويشكو صارخا

تبطيء الخطو اذا اليوم دنا
ان اولى الناس بالعطف انا
يغتن القلب ولا العقل اغتنى
استمع صوتا صريحا معلنا
كلما مرت به الريح انثنى
انا يا نجم غريب ههنا

وشريد ليس لى من مرشسد

عن حياة الشر يوما لم اُحد
ليتنى من خوف ضعفى لم اُعد
ان اردت الاثم او ان لم اُرد
خائف فى وحدتى بل مرتعد
اسقف يرعى ولا من مفترقد
قد ضللت الله دهرا لم اُجد

ذلك الهادى الذى يهدى يدي

أدهش الأكوان فى مولده
أحوج القلب الى مرشده
بشر العابد فى معبده
وانهض الراقد من مرقده
تهرع الدنيا الى منشده
فارشد القلب الى مذوده

واتركنى فى خشوع العابد

أخطأ الكل وزاغوا كلهم
ليتنا ندرى الام ذلهم
ولأجل الطيش يفنى مالهم
ضل فى الآثام أيضا عقلهم
أنت تدرى كيف أمسى حالهم
وسط أملاك بهى شكلهم

خشع حول يسوع سجد

سر بقلبي أيها الهادى ولا
أنا يا نجم ضعيف خائر
أنا طفل فى حياة الروح لم
ليس لى حلم ولا رؤيا ولم
أنا فى الصحراء نبت واهن
أنا وحدى حائر بل عاجز

أيها النجم افتقدنى اننى
كم وعدت الله وعدا حائثا
أنا عبد الاثم أرضى شهوتى
أنا وحدى وسط أسياف العدا
أنا ملقى فى ضلالى ليس من
فطريقى فى ظلام دامس

ذلك الهادى الذى يهدى يدي

قد سمعنا اليوم عن ميلاد من
سر أيا نجم لتهدينا فما
طف بكل الناس اشفاقا بهم
وأيقظ الغافل من غفلته
واشد بالبشرى نشيدا مفرحا
ولد الرب كطفل مثلنا

واتركنى فى خشوع العابد

كل ما فى الكون اثم سافر
استغلوا فاستكانوا فى رضى
قلوبهم للشر أضحى مسكنا
عبثا يهديهم العقل فقد
فترفق أيها النجم بهم
قم وجمعهم بقلب خالص

غريب

كتبت معظم هذه الابيات من سنة
١٩٤٦ ولم تكمل بعد . وكان كاتبها
يود أن تبقى حتى تكتمل ولكن لا بأس
من أن تكملها أنت يا أخى القارىء
ان أحببت نعمة الرب .

نزىلا مثل أبائى
وأفكارى وأهوائى
أفرغ فيه آرائى
ولا يدرون ما بائى
وفى صخب وضوضاء
بقلبى الوادع النائى
ولا ركننا لايوائى

* * *

ولم أحفل بتأديها
بعيدا عن ملاحيتها
لشئ من أمانيتها
الى ضوضاء أهليها
سعيدا فى بواديتها

غريبا عشت فى الدنيا
غريبا فى أساليبى
غريبا لم أجد سمعا
يچار الناس فى ألفى
يموج القوم فى هرج
وأقبع ههنا وحدى
غريبا لم أجد بيتا

* * *

تركت مفاتن الدنيا
ورحت أجز ترحالى
خلى القلب لا أهفو
نزيه السمع لا أصغى
أطوف ههنا وحدى



بفيثاري ومزماری وألحان أغنيها
وساعات مقدسة خلوت بخالقي فيها

أسير كأنتي شبح يموج لمقلة الرائي
غريبا عشت في الدنيا نزيلا مثل آبائي

* * *

كسبت العمر لاجاه يشاغلني ولا مال
ولا بيت يعطلني ولا صحب ولا آل
هنا في الدير آيات تعزيني وأمثال
هنا الانجيل مصباح ولا يخفيه مكيال
هنا لا ترهب الرهبا ن قضبان وأغلال
ولا تلهو بنا الدنيا قادبار واقبال

أقول لكل شيطان يريد الآن اغرائي
حذارك انني أحيا غريبا مثل آبائي

كتبت هذه القصيدة من اوائل يوليو ١٩٥٤ •

سائح

ليس لى شأن بغيرى
قد أخفيت جبرى
سأكنا ما لست أدرى
من قفر لقفى
والأكمام دبرى
تأح للأسوار فبرى
لم أشفف بوكى
فى أقامتى وسبرى
حىن أمشى حىن أجرى
شئ غير أمرى

أنا فى البىءاء وحدى
لى جحر فى شقوق التل
وسامضى منه يوما
سأأحا أجاز فى الصحراء
ليس لى دىر فكل البىء
لا ولا سسور فلن ىر
أنا طىر هائم فى الجو
أنا فى الدنىسا طلىق
أنا حىر حىن أغفو
وغرىب أنا أمر الناس



الرهبنية وحيدة ، وهي
درجات :

وكما قال مار اسحق : تبدأ
براهب يعيش في مجمع الرهبان
بالدير الى مبتدئ في الوحدة ،
الى راهب يحتفظ بصمت
الأسابيع أي أنه يعتكف في قلايته
طول الأسبوع ، ثم يتقابل مع
الرهبان في قداس الأحد ،
تلي ذلك درجة متوحد في
مفارة ، ثم متوحد لا مفارة له ،
وهكذا يصل محب الوحدة أخيرا
الى درجة سائح . وهذه الأبيات
تحدث عن الدرجة الأخيرة .
نشرها منتظرين أحد الآباء
يكملها بخبراته ..



فتم !!

تبقى لدولته بقيّة
غفرت لكم تلك الخطيئة
وامسح دموع الجدلية
توما قريبته قسوية
يبنى كنيسةتنا النقية
واسكن بيوت المرقسية

* * *
واشفق بأجفان البكاة
واشمت بأسلحة الطغاة
حسبوك انسانا فنيت فلا رجوع ولا نجاة
ولأنت أنت هو المسيح وأنت ينبوع الحياة
واظهر بسطان الاله
فأنت رب فى سماء
وأبهرهم بطلعتك البهية
ولم اشقات الرعية

* * *
غرباء فى هذا الوجود
ولم تقم بعد الرقود
حجر ويحرسه الجنود
وقمت من بين اللخود
رب القيامة والخلود
من قبر الضلالة والخطية
ة ولم اشقات الرعية

قم حطم الشيطان لا
قم بشعر الموتى وقل
واغفر لبطرس ضعفه
واكشف جراحك مقنعا
وارسل الينا مرقسا
وهلم وأقبل سيدي

* * *
ارفع رؤوسنا نكست
شمت الطغاة بنا فقم
حسبوك انسانا فنيت فلا رجوع ولا نجاة
ولأنت أنت هو المسيح وأنت ينبوع الحياة
قم فى جلال المجد بل
قم وسط أجناد السماء
قم روع الحراس
قم قو ايمان الرعاة

* * *
مرت علينا مدة
فترت ضمائرنا هنا
فالقبر ضخم فوقه
يا من أقمت المائتين
يا من قهرت الموت يا
قم وأنقذ الأرواح
قم قو ايمان الرعا

هجسة لقلب

في حنايا الصدر أخفى موضعك
واعترلت الكل كي أحيا معك
شهوة أخرى سوى أن أتبعك
قد عرفت الآن كيف صارعك
أنت عال مرهب ما أروعك
كفه والحب يدمى مدمعك
كيف للقلب انن أن يسمعك

* * *

ليس لي في غربة العمر سواك
حيثما أنت فأفكارى هناك
قد نسيت النفس أيضا في هواك
متعة القلب فلا تنس فتاك
في سكون الصمت تستوحى نذاك
كل قلب عاش في الحب سماك
من هوى الكل فلا يحوى سواك
عن رؤى الأشياء على أن أراك
من حديث الناس حتى أسمعك
في حنايا الصدر أخفى موضعك

قلبي الخفاق أضحى مضجعك
قد تركت الكون في ضوضائه
ليس لي فكر ولا رأى ولا
وأبى يعقوب أدري سره
يا أليف القلب ما أحلاك بل
يا قويا ممسكا بالسوط في
لم يسمعك الكون ما أضيقه

قد تركت الكل ربي ما عداك
ومنعت الفكر عن تجواله
قد نسيت الأهل والأصحاب بل
قد نسيت الكل في حبك يا
ما بعيد أنت عن روحى التى
فى سماء أنت حقا انما
عرشك الأقدس قلب قد خلا
هى ذى العين وقد أغمضتها
وكذا الآن لقد أخليتها
قلبي الخفاق أضحى مضجعك

فى جنة عدن

(المنظر الأول) آدم وحواء يسبحان الله فى الجنة

آدم (يغنى) : تعالى الله مولانا
يحب الهنا قلبى
حواء :
آدم يكمل : وربى مصدر الحب
ملأنا الجو تمجيدا
ملك : الهى زده تسبيحا
ملك آخر :
آدم فى حماس : أنا من فيض رحمته
حقيرا كنت فى الأرض
وهانذا وقد صرت
أرى فى جنتى شجرا
وأطيارا مغردة
ويجرى الماء من حولى
آدم وحواء : تعالى الله باركنا
(يرى آدم فهذا راقدا فيقول له)
تنشط أيها الفهد
وقل يا صاحبى معنا
(الفهد يسير مغنيا معهما) :
تعالى الله مولانا
وبورك حيثما كانا
يحب الله قلبانا
كما نهواه يهوانا
وترتيلا وألحانا
الهى زده ايماننا
قرب صرت انسانا
وكننت أداس أحيانا
على الفردوس سلطانا
من الأثمار ملأنا
وأزهارا وريحانا
ينابيعنا وغدراننا
وأعطانا فأغنانا
وسر فى الأرض نشوانا
تعالى الله مولانا
وبورك حيثما كانا

(يتحمس آدم فيقول لأسد في الطريق) :

وقم يا أيها الأسد
وسبح ربنا العالى
وقل يا صاحبى أيضا
وصح بالصوت رنانا
وردد لحن نجوانا
تعالى الله مولانا

(الأسد يسير مغنيا معهم) :

تعالى الله مولانا
وبورك حيثما كانا

(تزيد الحماسة بآدم وتأخذه روعة النشيد فيقف هاتفا) :

هلمى دولة الوحش
وهيا ساكنى الأبحار
وقومى جنة الفردوس
هلمى كلنا نشدو
ذرافات ووحداننا
أسماكا وحيثاننا
أطيارا وأغصاننا
تعالى الله مولانا

(يسمع صوتهم جميعا وهم يسرون فى موكب حافل يردد) :

تعالى الله مولانا
ملأنا الجو تمجيذا
(الحية فى غيظ): كفاكم أيها الشادون
تملك آدم فيكم
أنا الجبارة العظمى
لسوف ترون من مكرى
وبورك حيثما كانا
وترتيلا وألحانا
ما تلقون من لحن
وليس مفضلا عنى
أنا سلطانة الجن
وسوف ترون من فنى

المنظر الثانى

(الحية تدخل الجنة وتتملق حواء وتظل بها حتى تسقطها هى وآدم)

الحية لحواء: سلام القلب يا أبهى
وحبا أعظم الجارات
حواء : صباح الخير أنكاها
سلام الله من نالت
عروس قد رأيناها
سلطانا وأسناها
على علم وأدهاها
من الأذهان أنكاها

(الحية متظاهرة بالتواضع)

وروح لست أنساها
لأفتح ها هنا فاما
أرقاها وأسناها
اليك يقول طوباها

حنو منك مولاتي
أنا في الحق لا أسمو
أمامك تخشع الأفهام
وأعقل عاقل يصغى

(تقتادها الى الجنة وهي تقول) :

كي ندرى خباياها

تعالى ندرس الأثمار

(تشرح لها الأشجار حتى تصل الى شجرة معرفة الخير والشر

فتقول) :

من الأسماء أبهاها
هو القدوس سماها
« حذار - لا تمساها »

وهذي وحدها حملت

حسواء : تعالى الله بارئنا

الحية : أحقا قال مولانا

(أدم يقترب) : تمااما

أحقا أنت تخشاها
من الأثمار الاها

(الحية في دهشة) كيف واعجبي

حسواء سنأكل مثلما شئنا

الحية : لماذا ؟

لربي قد حفظناها
ونفنى ان أكلناها

حسواء : تلك أقوال

أدم : سنهلك ان عصيناها

(الحية في لهجة الواثق العالم بخبايا الأمور ، تقول باسمه في خبث) :

وأنتم منتهى جهده
وأعرف مخفى قصده
على سلطانه وحده

محال أن يميتهما

بل القدوس في سر

نهاكم مشفقا منكم

(تنظر اليها حواء في استغراب واستفهام ، فتجيب الحية في اغراء) :

تصـــــــيران الهين نظير الله فى مجده !

(ملاك يقول فى انذار) :

أوعيد من الهى أم من الحية وعد
ليس مجدا بل هلاك كيف فى العصيان مجد ؟

(الحية لحواء) : هذه النبتة يا حواء لو جربت شهد

نبتة فيها جلال العلم بل خلد معد

(حواء تنظر الى الشجرة فاذا هى بهجة للعيون وجيدة للأكل فتقطف
وتأكل وتعطى رجليها فيأكل معها)

(بينما الحية تقول فى شماتة وفرح) :

سقط الجبار ، أين العدل يا رب الحساب ؟

واستحق الموت مهما ترك الشر وقاب .

(وتوجه كلامها لآدم) :

لست شبه الله يا آدم بل أنت تراب
ويح سلطانك فى الجنة قد ولى وغاب
ليس مجد لأئيم بل هلاك بل عذاب
سوف تحيا فى شقاء وامتهان واكتئاب
وستبقى تحت سلطانى الى يوم المآب

(وتضحك ضحكاتها الشيطانية وتجرى عابثة فى أرجاء الجنة)



تائه فى غربة

أو تدري أنت ما أنت هنا ؟
وجميع الناس أيضا مثلنا
ثم نمضى حين يأتى يومنا
ثم ولى بعدها أباؤنا

* * *

قنية أملك فيه أو غنى
جمع العقل بجهل واقتنى
مسكننا فى الأرض أو مستوطننا؟!

* * *

قد سكرنا وأضعنا أمسنا
قبلما نمضى ، وتبقى « ليتنا »

* * *

كل ما أدريه أنا سوف نمضى
فى سباق ، بعضنا فى اثر بعض
مثل برق سوف يمضى ، مثل ومض
وأجر فى الآفاق من طول لعرض
أرضها فى المال ، أو فى المجد أرض
ضيع الأيام فى الأحلام واقضى
راقدا فى بعض أشبار بأرض

يا صديقى لست أدري ما أنا
أنت مثلى تائه فى غربة
نحن ضيفان نقضى فترة
عاش أباؤنا قبلا حقبة

قد دخلت الكون عريانا فلا
وسامضى عاريا عن كل ما
عجبا هل بعد هذا نشتهى

غرنا الوهم ومن أحلامه
ليتنا نصحو ويصفو قلبنا

لست أدري كيف نمضى أو متى
فى طريق الموت نجرى كلنا
كبخار مضمحل عمرنا
يا صديقى كن كما شئت اذن
أرض أمالك فى الألقاب أو
وأغمض العين وحلق حالما
آخر الأمر ستهوى مجهدا

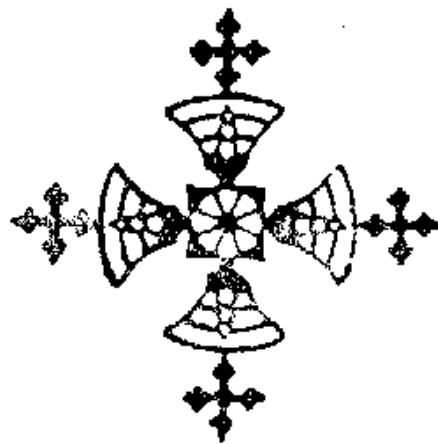
يهداً القلب وتبقى صامتا
ما ضجيج الأمس في القلب اذن؟

لم يعد في القلب من خفق ونبض
أين بركانه من حب وبغض ؟

* * *

قل لمن يبني بيوتا ههنا :
قل لمن يزرع أشواكا ، كفى
قل لمن غنى على الأهواء هل
قل لمن يرفع رأسا شامخا
خفض الرأس وسر في خشية
قل لمن يعلو ويجرى سابقا
نحن صنوان يسيران معا
قل لمن يعتز بالألقاب ان
نحن في الأصل تراب تافه

أيها الضيف ، لماذا أنت تبني ؟
هل نفس الشوك أيضا سوف تجني
في مجيء الموت أيضا ستغني ؟!
في اعتزاز ، في افتخار ، في تجن :
مثلا ترفع رأسا سوف تحنى
يا صديقي قف قليلا وانتظرني
أنا في حضنك ، مل أيضا لحضني
صاح في فخره «من أعظم مني ؟!»
هل سينسى أصله من قال انى ؟!



كيف أنسى؟!

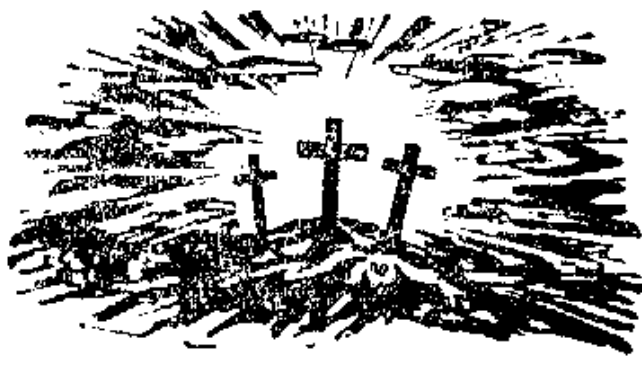
نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٦٢ .

سوف أنسى أمس واليوم وقد أنسى غدا
وسأنسى فترة في العمر قد ضاعت سدى
غير أنى سوف لا أنسى سؤالا واحدا
حين قال القلب يوما فى ارتباك : كيف أنسى

كيف أنسى فترة الطيش وآثام الصبا
حين كان القلب رخوا كلما قام كبا
أسكرته خمرة الاثم فنادى طالبا
كلما يشرب كأسا يملأ الشيطان كأسا

كم دعانى الرب يوما فأشحت الوجه عنه
وأرانى قلبه الحانى أنا الهارب منه
قال كن صدرا لقلبي غير أنى لم أكنه

كان قلبي فى صدودى مثل صخر ، كان أقسى



قال هل تحضر يا صاحب عرسي ، فاعتذرت ،
فأعاد القول في رفق وعطف ، فضجرت
فتولى بعد أن قال انتظرنى ، ما انتظرت
لم تكن فى القلب أشواق لكى أحضر عرسا

كجحيم ذلك الماضى ، كشيطان مريع
قائم ضدى فى صحوى وأيضا فى هجرى
كم مضى الليل وقد بللت فرشى بدموعى
ايه يا ظلمة نفسى ، هل ترى أبصر شمسا

قرأ الكاهن حلا فوق رأسى ، فاسترحت
قال لى هيا اصطلح بالرب هيا ، فاصطلحت
قلت، أنسى الأمس لكن صرخ العقل فصحت
حسن يا قلب أن أنسى ولكن ، كيف أنسى ؟

كيف أنسى فترة الطيش وآثام الصبا
كيف أنسى الرب مصلوبا وقلبى صالبا

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة الطبعة الخامسة	...
الانطلاق من معرفة الخطية	...
الانطلاق لمعرفة الله	١
انطلاق الروح	٥
التحرر من القيود	٦
نطاق الجدران الأربع	١٢
أعظم من السماء والأرض	١٦
كان مستغرقاً في نومه	٢٢
اعرف ذاتك	٢٥
ذاتك ومديح الناس	٣٢
ذاتك وإساءات الناس	٣٧
انطلق من ذاتك	٤٢
ذاتك أمام الله	٤٥
انطلق من رغباتك الأرضية	٤٨
انطلق من سلطان الحواس	٥١
لست أريد شيئاً من العالم	٥٤
التعلم من الله	٥٧

٦٠	انطلق من حب التعليم
٦٢	انطلق من الشعور بالامتلاك
٦٦	انطلق من سلطان ذاتك
٧١	مساكين
٧٦	حدث في تلك الليلة
٨٩	وتتركوننى وحيدى

مَقالات

٩٦	تأمل فى النور والظلمة
١٠٠	عندما أجلس الى ذاتى
١٠٢	اكشف لى ذاتك
١٠٥	محبة الطريق
١٠٧	اتركينى الآن
١١١	رينا موجود

قصائد

١١٣	من تكون
١١٤	أبواب الجحيم

١١٦	هذه الكرمة
١١٨	أبطال
١٢٠	وأب أنت
١٢٢	اغلق الباب
١٢٣	وماذا بعد هذا
١٢٦	ذلك الثوب
١٢٨	الأمومة
١٣٠	من ألحان باراباس
١٣٢	أنا يانجم غريب ههنا
١٣٤	غريب
١٣٦	سائح
١٣٨	قم
١٣٩	همسة حب
١٤٠	فى جنسة عدن
١٤٤	تائه فى غربة
١٤٦	كيف أنس

كتاب اللغات

بعضه الطلوع تكون من جهة عمارة
الأحرف في قوائم اللغات الخمسة
مع ان عينها في مجموع قوائم اللغات
التي من أطرافها على كل وجه من الأسماء
من اللغات الطلوع على كل وجه
طوله على عاتق من فائدة واحدة كمنفعة
و تقديراً على اجتهاد من قلم كاتبها
تقريباً يسمو بالعلمة و يرتقى بالمدون
و لأن الغير بالشعر هو السبق أم هو السبق
العلمة و تقى أروع الصيغ العلمية على
الطريق ، فإن كان يريد من جهة اللغات
الكتاب التي تكون على مجموعها من اللغات
الشعرية التي كانت تطبقون السمعانية التي
و لعل في اللغات التي أضافه فيها
اللغات بل هي الأضافه التي تعرفها بنا
الطريق و دراسة اللغات التي أضافه فيها
كما علمت في تعريف اللغات التي أضافه فيها
و الرواية في اللغات